المغالطات الأمريكية الكبـــرى

د / محمد مورو

obeikandl.com

مكتبة الإيمان - المنصورة

ت: ٢٢٥٧٨٨٢

الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

obeikandl.com

المغالطات الأمريكية الكبرى

ثلاث مقالات طويلة تتحدث عن الرؤية الأمريكية للعالم ولمنطقتنا بالتحديد وللنظرة إلى العالم العربي والإسلامي، والمقالات الثلاث تصلح نموذجا لما يمكن أن نسميه عصر المغالطات الأمريكية الكبرى ومن المهم بالطبع أن نرصد مثل هذه المقالات التي تكشف طريقة التفكير الأمريكية التي تشتبك وسوف تشتبك معنا بالضرورة، لأننا أولا موضوع هذه المقالات، ولأنها ثانيا بقلم ثلاثة من أهم الكتاب الأمريكيين، الذين يرسمون أو يكشفون بالأحرى عن المخطط الأمريكي والاستراتيجية الأمريكية للعالم في عصر العولمة وخاصة بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١م.

المقالة الأولى بعنوان " العالم المعاصر هدفهم " بقلم فرانسوا فوكوياما، والثانية بعنوان " عصر حروب المسلمين: بقلم صمويل هانتنجتون، والثالثة بعنوان " كيف يمكن إنقاذ الوطن العربي" بقلم فريد زكريا.

لأسماء كُتَّاب المقالات أهميتها، وكذا عناوين المقالات الثلاث فالاسم الأول "فرانسو فوكوياما" هو المفكر الأمريكي الذي دشن انتصار الرأسمالية على الشيوعية في جانبه الفكري، ونظر لما يسمى بنهاية التاريخ قاصدا أن انهيار الشيوعية وانتصار الرأسمالية يعني أن الليبرالية الديمقراطية الرأسمالية هي الحل والطريق الصحيح الوحيد أمام البشرية وعلى كل البشر أن يؤمنوا بهذا الدين - دين حرية التجارة والسوق والخصخصة والعولمة، وأن يعلنوا اعتناقهم له، وإلا فإن القطار سوف يفوتهم أو يدهمهم ويخرجون من التاريخ، فرانسوا فوكوياما بالطبع لم يكن يحلل الظاهرة، ولم يصل إلى هذه النتيجة من خلال التحليل العلمي الرصين، ولا النظر في الصيرورة التاريخية ولا استخدام منهج علمي

جديد أو قديم ليصل إلى هذه النتيجة من مقدمات حقيقية وموضوعية، ولكنه كان مجرد بوق لآلة الإعلام الغربية - التابعة للقوى الحاكمة في أمريكا والغرب " تحالف العسكريين والرأسماليين " الذين خططوا للهيمنة على العالم، وإعادة صياغته بطريقة تسمح بنهبه وقمعه بطريقة سلسة وسهلة وبدون خسائر أو مجهود كبيرين.

وبديهي أن الرجل استخدام أسلوب القفز على الحقائق الموضوعية، وصاغ عددا من المغالطات الكبرى ليصل إلى هذه النتيجة، فانهيار الشيوعية لا يعني بالضرورة صلاحية الرأسمالية، بل قد يعني في جانب منه عدم صلاحية الرأسمالية ذاته لأنها مثل زميلتها خرجت من نفس الأرضية الحضارية الفاسدة - الحضارة الغربية - التي أفرزت أيضا النازية والفاشية والصهيونية، وهي حضارة القهر والعنف والنهب والاستعمار والاسترقاق وإبادة الشعوب، وقد عانى العالم ولا يزال معاناة شديدة من صعود تلك الحضارة منذ عدة قرون.

والاسم الثاني هو صمويل هانتجتون الذي هو بدوره أيضا أحد أبواق القوى المسيطرة " تحالف الرأسمالية والعسكريين " ولا بد أن يكمل الرجل ما بدأه فوكوياما، فإذا كان فوكوياما يعتبر أن على الناس أن يدخلوا في دين الرأسمالية طوعا أو كرها، وليس أمامهم بديل، فإن هانتجتون حدد القوى والأفكار التي يمكنها أن تقف عقبة أمام هذا الزحف العولمي والرأسمالي واعتبر الحضارة الإسلامية أخطر هذه العقبات، لأنها أولا حضارة تعبر عن قطاع كبير من البشر، وتؤثر على قطاع آخر من غير المسلمين، ويمكن أن تكون بديلا صالحا للرأسمالية والشيوعية معا، فحلم الإنسان في العدل لن يموت وسوف يبحث الإنسان عن نظرية تحقق له هذا، ولا بد لهذه النظرية أن تكون ذات خطاب عالمي غير عنصري وأن تكون في نصها النظري والتطبيقي منحازة إلى المستضعفين والفقراء،

وهكذا فإن الإسلام كدين وكأيديولوجية للفقراء يمكن أن يكون هو هذا البديل، وهكذا فلا بد من إعادة بعث فكرة قديمة هي فكرة صدام الحضارات، وبديهي أن الحضارات تتصادم وتتحاور حسب الظروف طبعا، ولكن اختيار صدام الحضارات عنوانا لعصر العولمة كان يعني بالضبط ضرورة القضاء بالقوة على كل المراكز الثقافية والحضارية والبشرية التي يمكن أن تعارض زحف العولمة وتوحش الرأسمالي، إنها فكرة عسكرة العولمة، وبالطبع فإن السيد فوكوياما بعد أن حدد المراكز الحضارية المختلفة في العالم اختار الحضارة الإسلامية لتكون هي العدو الجديد للغرب الذي ينبغي تحطيمه عسكريا ومنعها من إقامة تحالف مع الحضارة الكونفوشيسية "الصين" لمواجهة عصر العولمة والأمركة والهيمنة وهذا هو ما حدث بالضبط في آسيا الوسطى والحملة على أفغانستان مثلا التي استهدفت أساسا منع التحالف الإسلامي الصيني والتواجد في مركز الثقل السكاني الإسلامي في العالم بالإضافة إلى الوجود في الخليج والضرب المستمر للعراق وممارسات إسرائيل ضد الدول العربية وكلها تصب في خانة واحدة، خانة محاولة تحطيم القوى الحضارية الإسلامية عسكريا وبالقوة وبلا هوادة، وبديهي أن صمويل هانتنجتون لم يكن يقرأ الغيب ولا يملك أدوات المفكر القادر على استقراء المستقبل بقدر ما كان يروج لمخطط أعد سلفا في أروقة الأجهزة الأمريكية الحاكمة.

الاسم الثالث هو فريد زكريا وهو يكمل ما بدأه زميلاه ولكنه يختار المنطقة العربية تحديدا ويفكر لنا أو بالأحرى عنا ويحدد ما هو الواجب علينا عمله لكي نصبح أتباعا مخلصين للدين الجديد؛ فهو يرسم الصورة السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي ينبغي أن نتطور إليها وقد يصيب الرجل جزئيا وقد ينصح بأشياء مطلوبة ولكن الإطار المنهجي هو

الأخطر، والمرجعية يجب أن تكون مرجعية الحرية والنزاهة وهي غربية وليست إسلامية أو عربية مثلا، إن علينا أن نعتنق القيم الغربية جملة وتفصيلا وأن نصبح جزءا من المجهود العالمي برغم إننا أول الضحايا لهذا المجهود المزعوم - إسرائيل مثلا - والرجل هنا أيضا مجرد مروج لمخططات السادة المسيطرين" تحالف الرأسماليين والعسكر" وبصرف النظر عن صحة أو عدم صحة ما قاله الرجل في حق أنظمة الحكم العربية فإن الهدف ليس إنقاذنا بالضرورة بل إخضاعنا بطريقة منهجية وتحقيق الاستقرار لإسرائيل والقضاء على إمكانية المقاومة مستقبليا.

وإذا حاولنا تأمل المقالات الثلاث بالتفصيل لوجدنا أن هذه المقالات تحمل عددا هائلا من المغالطات المنهجية والمعلوماتية والتحليلية كذلك، وهي تعبر عن طريقة التفكير الأمريكية وتكشف جانبا مهما من المخطط الذي بدأ الترويج له بقوة، فالمقال الأول " العالم المعاصر هدفهم " لفرانسوا فوكوياما يكشف العنوان مباشرة عما يريده هؤلاء المروجون للسياسة الأمريكية، هنا محاولة تبرير العدوان المتوقع هنا وهناك، فالإرهاب الإسلامي أو الأصولية الإسلامية هدفها تدمير العالم المعاصر ومنجزات الحضارة والقيم الصحيحة لأن هؤلاء مجرد أشرار يحقدون على المتقدمين ولا يحملون أي رؤية أو برنامج وليسوا محتجين على السياسات الأمريكية أو الإسرائيلية مثلا، إنهم فقط أشرار حاقدون يجب تدميرهم لإنقاذ أهل الخير منهم وهذا المفهوم طبعا صار هو الرؤية الرسمية المعتمدة للإدارة الأمريكية، وصار جزءا لا يتجزأ من كلام كتاب وصحفيين وسياسيين بعد ١١ سبتمبر بالتحديد وهذا بالطبع هو العنوان الرئيسي لعصر المغالطات الأمريكية الكبرى التي تتميز بالصفاقة وعمى الألوان، أو حتى العمى الكامل عن الحقائق الموضوعية وهي نوع فريد من تجزئه الحقائق وعدم ربط المقدمات بالنتائج، وهكذا لا بد من القفز

على حقيقة وجود ممارسات وأفعال أمريكية وإسرائيلية ربما تكون هي السبب فيما حدث!!

يستمر فوكوياما في مغالطاته، فالأشرار الذين يحقدون على أمريكا، يحقدون أيضا على العالم، إنهم لا يريدون أن تستمر مسيرة الديمقراطية التي كانت قد بدأت تنتشر في كل مكان بالعالم قبل ١١ سبتمبر، ولا يريدون أن تستمر مسيرة العولمة التي قربت البشر من بعضهم البعض، ورفعت الحواجز والقيود وحققت النمو.. والمغالطات هنا بالجملة؛ فالديمقراطية المزعومة ليس لها عيون لترى ممارسات إسرائيل وانتهاكها اليومي وعلى مدار الساعة لكل أنواع حقوق الإنسان وكل أنواع الديمقراطية، بل إن إسرائيل نموذج في العنصرية والقمع لم يحدث من قبل، تباركه الدول الديمقراطية الكبرى!! وتدعمه بالمال والسلاح، والعولمة والرخاء المزعوم قبل بعد ١١ سبتمبر لم يحدث، بل الذي حدث أن العولمة أطاحت بالفقراء وحولتهم من فقراء إلى معدمين، فقد أصبح مئات الملايين لا يعانون فقط من ضعف مستوى الأجور، بل من ضياع فرصة العمل ذاتها، وتحول التقارب المزعوم بين البشر إلى حلبة مصارعة حرة بين قزم وعملاق!!

الغريب أن السيد فوكوياما قائلا: إن ذلك قد انتهى الآن وضاعت الفرصة، وقد قررت أمريكا أن تطردنا من الجنة، ولا ينسى فوكوياما أن يؤكد أن ضرب أي أحد وكل أحد ممكن إذا كان إرهابيا، أو دعم إرهابيا أو مر عليه ذات يوم إرهابي أو حلم في يوم من الأيام بمقاومة أمريكا وإسرائيل!!

يستمر فوكوياما في مغالطاته، فالحرب التي تشنها الولايات المتحدة الأمريكية ليست نوعا من تطور طبيعي للعولمة باتجاه العسكرة، حتى تعمل مصانع السلاح التابعة لكبار الرأسماليين، وهذه العسكرة ليست

تطورا طبيعيا للرأسمالية الباحثة عن تصريف منتجاتها والتي تلتهم المزيد من الضحايا بنشر الأوبئة والفوضى والحروب في العالم لبيع الأدوية والسلاح والمخدرات، والتي انفصلت حتى عن أصلها النظري والفلسفي وصارت آلية خاصة مستقلة لا يمكن حتى للقائمين عليها السيطرة على مسارها " عصر ما بعد الحداثة!! " بل هذه الحروب في رأي فوكوياما هي دفاع الخير ضد الشر، هذا الشر الذي يستهدف القيم والنموذج الأمريكي، وهذه القيم الأمريكية هي في رأي فوكوياما قيم عالمية تمثل تطلعات عالمية، وهكذا فإن الذين ضربوا أمريكا، كانوا يريدون القضاء على رخاء وتقدم العالم.

ويعكس فوكوياما جهلا مركبا بالإسلام - أو قل يغالط أيضا رغم معرفته - فالإسلام، كدين لديه مشاكل فلسفية مع الحداثة!! والصحيح أن الإسلام كدين بالفعل لديه مشاكل مع الظلم والهيمنة والقهر وإذلال الإنسان وإفساد البيئة وهيمنة ٢٠٪ من العالم على ٩٠٪ من خيراته بينما يعيش الباقي على الفتات لديه مشاكل مع ازدواج المعايير وإبادة الشعوب وإنشاء إسرائيل!!

ليست المشكلة مع التطور، بل هذا التطور تحديدا يحض عليه الإسلام حضا ويعتبره سنة كونية.

ويتعامل فوكوياما مع الحركات الإسلامية بجهل أيضا، فهو يحللها من منظور الأصولية المسيحية، وهي حركات رجعية تكره أمريكا، لأنها متقدمة، وتتمتع بالحرية أو لأنها علمانية أو بها انحلال جنسي أو إنها تكرس التسامح الديني والتعددية ولا تخدم الحقيقة الدينية، وهذا كلام قد يصح بالنسبة إلى اليمين الأمريكي مثلا ولا يصح بالنسبة للحركات الإسلامية وخاصة ما كان منها على غرار حزب الله وحماس والجهاد الفلسطيني، فهذه حركات مقاومة وهي مع غيرها من الحركات الإسلامية

أيا كان الرأي فيها - حركات احتجاج، احتجاج على الاستبداد وصوت الجنوب ضد الشمال، ولا يمكن فهمها بمنظور علم الاجتماع الغربي أو الكنسي وهي أيضا في قطاع كبير منها تريد التعددية وتعكس التسامح الديني وليس العكس بل هي غير عنصرية تماما.

أما موضوع الحقيقة الدينية فهو موضوع يدل على جهل فوكوياما بالإسلام وبالحركات الإسلامية تماما، بل هو تعبير كنسي أصلا، فالإسلام والإسلاميون والحركات الإسلامية لا علاقة لهم بموضوع الحقيقة الدينية، بل هم يرفعون شعار " لا إكراه في الدين" و " لا إكراه في الكفر" بمعنى أن العالم المعاصر الذي تهيمن عليه أمريكا يدافع بالفعل عن حقيقة دينية هي فرض دين حرية السوق والعولمة على العالم!! وهذا مرفوض بالنسبة للحركات الإسلامية.

المقال الثاني " زمن حروب المسلمين" للكاتب الأمريكي صمويل هانتنجتون يحمل بدوره نفس المغالطات - بل يحمل العنوان أيضا مغالطة، فالحديث عن زمن حروب المسلمين يوحي بأن هناك علاقة ضرورية بين المسلمين والعنف والحرب، وكأن العنف اختراع إسلامي مثلا، وبديهي أن كل الحضارات والشعوب والجماعات أفرزت عنفا، ولكن عنف المسلمين وحروبهم لا تمثل إلا جزءا يسيرا جدا من حروب وعنف الغرب " إبادة شعوب في أمريكا واستراليا - إقامة إسرائيل - الحروب الدينية - حربين عالميتين " بل إن تلك الحروب التي كان المسلمون طرفا فيها كانت بتشجيع من الغرب أو بمؤامرة منه، والحروب التي يتحدث أو يستدل بها هانتنجتون على أنها حروب المسلمين ينطبق عليها هذا بالتحديد.

وبداية فإن العنف والقتال والحروب في حد ذاتها ليس شيئا مذموما، فالكفاح والدفاع والنضال ورد العدوان ومنع الظلم وانتزاع الحقوق المشروعة عمل نبيل محمود.

يستدل هانتنجتون على عنف الإسلام والمسلمين برصد الحروب الأخيرة بينهم وأن خمسا من الدول السبع المدرجة على القائمة الأمريكية للدول التي ترعى الإرهاب من الدول الإسلامية، وكذلك فإن معظم الجماعات المدرجة على القائمة ذاتها جماعات إسلامية، وأن ١١ من أصل ١٦ عملا إرهابيا بين عامي ١٩٨٣ م - ٢٠٠٠ م كان من المسلمين، وأن القوات الأمريكية خاضت ١٧ عملية عسكرية ضد مسلمين منذ عام ١٩٨٠ م - ١٩٩٥ م وأن ٣٢ نزاعا مسلحا كان ٢١ منها بين مسلمين أو كان المسلمون طرفا فيها، وهذا يعني من وجهة نظر صمويل هانتنجتون أن هناك خللا في الإسلام أو مفاهيم المسلمين عنه وأنه لا بد من تهذيب المفاهيم الإسلامية وإعادة السيطرة على العالم الإسلامي عسكريا وثقافيا وإلا فإن حربا عالمية بين المسلمين وأمريكا يمكن أن تقع، وهكذا فإن الرجل الذي روج لمقولة صدام الحضارات ومهد بالتالي للحرب الأمريكية ضد الدول الإسلامية - حرب أفغانستان مثلا - هو نفسه يمهد للحرب الأمريكية المتوقعة.. على كل حال فإن حديث هانتنجتون - واستدلالاته الرقمية من عنف المسلمين ربما تكشف في جانب منها عن حيوية الإسلام باعتباره دين المقاومة والجهاد والقادر على تحريك الجماعات ضد النفوذ الأمريكي والعنف الأمريكي، وهذه نقطة إيجابية وليست سلبية.

المقال الثالث بعنوان " كيف يتم إنقاذ الوطن العربي، للكتاب الأمريكي أيضا فريد زكريا، وهو مثل زميلية يمارس المغالطة، ولكنه هذه المرة في أسلوب ذكي، فالعنوان يتحدث عن إنقاذه ويستخدم مصطلح الوطن العربي وهو مصطلح أثير لدينا نحن العرب، وهكذا فالرجل يبرز نوعا من التعاطف في العنوان والاسم قد يبدو من أصل عربي " فريد زكريا" وربما كان يهوديا، وهو يبدأ المغالطة بالحديث عن الإنقاذ، والصحيح أن يكون

إنقاذ الوطن العربي من ممارسات أمريكا وإسرائيل، وإنقاذ الوطن العربي من أمريكا وإسرائيل، أمريكا التي تحتل أجزاء من الوطن العربي بقواتها وتضرب العراق وتحاصره وإسرائيل صنيعة أمريكا التي ضربت الدول والشعوب العربية وحالت دون تحقيق وحدة هذا الوطن العربي، وحالت دون تقدمه وتطوره الاقتصادي والاجتماعي بفرض الحروب وتكاليفها على بلدان هذا الوطن!!

الوصفة الأمريكية هذه المرة على طريقة وصف الذئب العلاج للحملان، أو ادعاء الثعلب صفة الطبيب المداوي، والروشتة تحمل قدرا منهجيا عاليا من المغالطة وهي تتحدث عن استبداد وفساد، وهذا صحيح، ولكن من كان وراء هذا أصلا؟!

المهم أنه في إطار دغدغة مشاعر المواطن العربي بالحديث عن الإصلاح السياسي والاقتصادي، المطلوب هو تحقيق هذا الإصلاح ليس بالوحدة مثلا، ولا بدعم المقاومة ضد إسرائيل، ولكن بتبني القيم الأمريكية والغربية، أي مسخ الهوية وتغيير برامج التعليم، والتخلي عن مشروع المقاومة ضد إسرائيل والقبول بالوجود الإسرائيلي والأمريكي في المنطقة بل وطلبه والتعايش معه، والتغاضي عن ممارسات إسرائيل، والتركيز على تطوير المجتمعات داخليا، وهذا مستحيل مع وجود إسرائيل طبعا، وهكذا فالوصفة هي أمركة وأسرلة المنطقة وليس شيئا آخر، وهكذا فنحن أمام مغالطات أمريكية من كل صنف ونوع، إنه عصر المغالطات الأمريكية الكبرى.

* * * * *

استنساخ العقل الإسلامي
على الطريقة الأمريكية

إذا كانت آلة العسكرية الأمريكية قد تحركت واستطاعت أن تدمر أفغانستان، والعراق، وتستعد للمزيد من التدمير لدول عربية وإسلامية أخرى، ناهيك عن التدمير عن طريق الوكيل الوحيد " إسرائيل " والذي أصاب ويصيب دول الجوار والفلسطينيين بالطبع، فإن آلة الإعلام والسياسة والاقتصاد تحركت بموازاة ذلك وقبل ذلك وبعده، وهكذا فنحن أمام حرب أمريكية شاملة تستهدف القضاء على أمتنا واستعادة استعمارنا استعماراً مباشراً، وكل هذا مفهوم، ولكن أخطر من الحرب والضرب محاولة تدمير الهوية عن طريق الغزو الثقافي والفكري الذي لا نستطيع صده أو رده، وأخطر منه وأخطر محاولة تغيير مناهج التعليم في الدول العربية والإسلامية وهي آخر قلاعنا، ولو تم ذلك - لا قدر الله - لكان هذا بداية النهاية الحقيقية لأمتنا، لأن التعليم هو حجر الأساس في بناء الشخصية، والمطلوب - من وجهة نظرهم - مسخ هذه الشخصية والقضاء على تميزها العقائدي والفكري ومن ثم السياسي والثقافي والحصول بالطبع على نسخة إنسانية مشوهة من النموذج الأمريكي قابلة للتبعية لأمريكا، بل مدمنة ومستمرة لتلك التبعية وتقبل بدور التابع والخادم بسهولة، وهذا الكلام جزء من مشروع أمريكي واسع النطاق لإعادة صياغة العالم أمريكيًّاً وتسوية النتوءات والتمايزات الثقافية والعقائدية للشعوب، وبالتالي يصبح العالم ممهداً للخضوع للهيمنة الأمريكية بدون مقاومة تذكر.

الأخبار تواترت عن تقديم الولايات المتحدة الأمريكية لعدد من المذكرات إلى الدول العربية والإسلامية تدعو إلى إعادة النظر في تدريس المناهج الدينية والتاريخية والثقافية، ورفع فكرة الجهاد والمقاومة، وتغيير كل ما يتصل بالتاريخ الإسلامي ضد الصليبيين أو الإسرائيليين، وكذلك رفع ما يتصل بأخلاق اليهود في

القرآن الكريم، والدعوة إلى ما تسميه تلك المذكرات: التسامح الديني - وإن شئت سَمِّه: (الخضوع العربي) لأننا أصلاً أمة التسامح، ولن يعلمنا الغرب التسامح، بل نحن الذين علمنا العالم هذا التسامح - وغيرها من المفاهيم المتصلة بالعولمة، وإذا أضفنا إلى ذلك التدخل الأمريكي في شئون الأقليات، وكذلك الاحتجاج على تجريم جريمة الشذوذ أو غيرها، لأمكننا أن نفهم ما هو المراد بنا.

بالطبع فإن تلك المطالب ليست جديدة، وحدث شيء منها إبان توقيع مصر اتفاقية كامب ديفيد عام ١٩٧٨ م والدخول في منزلق التطبيع مع الكيان الصهيوني، وكذا عندما تم تسلل الأمريكيين إلى مراكز البحوث التربوية والتعليمية في مصر عن طريق برنامج المعونات الأمريكي وتم تشويه عدد من المقررات الدراسية، وضغط ساعات اللغة العربية لحساب اللغات الأجنبية وكذلك تغيير المفاهيم وتسريب ما أمكن من المفاهيم المتأمركة، ولكن الجديد هو أن الطلب هذه المرة محدد ولا يلجأ إلى التسلل بل هو مطلب واضح وحاد وقطعي وإلا فالحرب!! والأمر شديد الخطورة بالطبع، ولا ننسى في هذا الصدد أن إسحاق شامير كان قد طالب بإلغاء كلمة الجهاد من القاموس الإسلامي " القرآن والسنة " وذلك في مؤتمر مدريد عام ١٩٩٢ م في إطار الحديث عن عملية السلام المزعومة وكأن السلام لا يستقر إلا بإلغاء عقائدنا وتحريف نصوصنا الدينية الربانية والنبوية.

ويقال إن عدداً من الدول العربية قد استجاب - كنوع من الانحناء للعاصفة وسوف يتم مراعاة ذلك بالتدريج على حد قولهم، ونذكر هنا ما قاله المعلق الأمريكي الشهير توماس فريدمان " من الآن وحتى السنوات العشر المقبلة سنعمل على استنساخ عقل إسلامي يفكر على طريقتنا نحن الأمريكان ".

وهكذا فنحن بصدد إظهار طبعة منقحة من الإسلام " الإسلام الأمريكي " يقوم به خبراء التربية والثقافة الأمريكيين بإعادة صيغة الإسلام على الطريقة الأمريكية، إسلام بلا رجولة ولا تميز ولا هوية، ولا روح مقاومة، وهو أمر يعني مباشرة حذف معظم آيات القرآن الكريم التي تتحدث عن الولاء والبراء، أو عن

الجهاد والحرب والمقاومة، أو عن بني إسرائيل، وكذلك إلغاء تاريخنا الذي عشناه وعرفناه، والذي يشكل الغزو والتحدي الصليبي الغربي جزءاً كبيراً منه، ليس فقط في الحملات الصليبية على الشرق من ١٠٩٨ م - ١٢٩٥ م، أي تلك التي حدثت طوال ٢٠٠ عام على فلسطين والشام ومصر وتونس بل أيضاً في كل المواجهات في الأندلس وفي المغرب العربي " حرب الألف عام "، ثم المواجهة في قلب أوروبا " الدولة العثمانية " وعلينا أن نسقط من ذاكرتنا بالتالي صلاح الدين الأيوبي وعماد الدين زنكي، بل وخالد بن الوليد ومحمد الفاتح.

هذا المطلب الأمريكي لن يكون الأخير بالطبع، وبالتالي فرفضه وتحمل نتيجة ذلك سيكون أفضل من القبول به ومحاولة الالتفاف عليه، لأن هذا المطلب ستتبعه مطالب، بإلغاء جامعة الأزهر مثلاً، والزيتونة والقرويين وفاس، أو الخضوع لنوع من التفتيش على خطب الجمعة والعيدين، أو إلغاء المدارس الدينية والجامعات الدينية عموماً، وفي مرحلة لاحقة محاولة فرض اللغات الأجنبية

" الإنجليزية مثلاً " كلغة رسمية ولغة لتلقي التعليم بدعوى العصرية والقضاء على منابع الإرهاب، وهذا ليس غريباً على العقل الغربي الذي تمثل أمريكا النسخة الأخيرة له، فقد فعلتها فرنسا في الجزائر ووصل الأمر إلى حد تجريم تعليم اللغة العربية والقرآن الكريم ومعاقبة من يقوم بذلك، ولكن الشعب الجزائري مارس تعليم اللغة العربية وحفظ القرآن الكريم سرًّاً وكان هذا جزءاً من عملية الثورة على المستعمر وشكلاً من أشكال مقاومته.

إنها إذن حرب أمريكية على الهوية، لا يقبلها أحد ذو كرامة وتدخل في صميم شئوننا الداخلية، بل ومساس خطير بالأمن القومي، وهنا نسأل سؤالاً بريئاً، هل يسمح لنا الأمريكيون أو الإسرائيليون مثلاً بالتفتيش في مناهجهم التعليمية، ومطالبتهم بتغيير بعضها لأن بها أموراً تمسنا، ومن المعروف أن تلك المناهج مليئة بالافتراءات على العرب والمسلمين وعلى الدين الإسلامي تحديداً وعلى الحضارة الإسلامية، وترسم صورة مغايرة للحقيقة وتزرع وجداناً معادياً في

العقل الغربي ضد كل ما هو عربي وإسلامي، وهل يسمح لنا الأمريكيون والإسرائيليون بالمطالبة بتغيير القوانين العنصرية ضد الأجانب في القانون الأمريكي والإسرائيلي وخاصة ما تمت صياغته بعد ١١ سبتمبر.

ومن المهم هنا أن نذكر مثلاً، أن إسرائيل لا تسمح طبقاً للقانون الإسرائيلي بممارسة التبشير المسيحي على أرضها، وكذلك فإن أحداً لا يجرؤ على تغيير المناهج الإسرائيلية الممتلئة بالأساطير التاريخية والعداء والحقد والمناهج العنصرية الإسرائيلية ضد العرب الذين هم غير موجودون أصلاً، وإن وجدوا فعلى الإسرائيلي قتلهم أو طردهم، ثم إن المدارس الدينية الإسرائيلية التي أفرزت أمثال إيجال عامير قاتل رابين، وباروخ جولد شتاين مرتكب مجزرة المسجد الإبراهيمي بمدينة الخليل، هذه المدارس تحظى بالدعم الحكومي الإسرائيلي، ولا يجرؤ الأمريكان مثلاً على المطالبة بإلغائها أو تعديل مناهجها، بل كل إسرائيل كمجتمع وفكرة وحكومة ومدارس وتعليم وتربية كلها عنصرية حتى النخاع ولا تجرؤ أمريكا على المطالبة بتغيير عقلها مثلاً!!.

المطلب الأمريكي خطير شكلاً ومضموناً، وهو جزء من الحملة على العالم الإسلامي، بل هو دخول في منطقة الألغام، لأن أحداً لن يقبل هذا بسهولة، وربط الموضوع بالإرهاب مغالطة خطيرة، فالإرهابيون المزعومون بما فيهم المتهمون بارتكاب حوادث ١١ سبتمبر ليسوا خريجي المدارس الدينية، بل خريجي مدارس مدنية وبعضهم تعلم في الغرب، وكذا فإن عدداً كبيراً من قادة وعناصر القاعدة بما فيهم أسامة بن لادن وأيمن الظواهري كلهم من غير خريجي المدارس الدينية، بل إن عدداً لا بأس به من ذوي الأصول - وليس الجنسية فقط - الإنجليزية والأمريكية والفرنسية وغيرهم الذين دخلوا في الإسلام حديثاً أو منذ فترة قاتلوا في صفوف طالبان، أو قاموا بمحاولة اختطاف طائرات " ريتشارد ريدلي مثلاً "، وهم ليسوا خريجي مدارس دينية إسلامية، بل تعلموا وتربوا وشربوا ثقافتهم من مجتمعات غربية، وهكذا فإن ربط الموضوع بالإرهاب هو نوع من الخداع

والصحيح أن محاربة الإرهاب تستخدم كذريعة لتمرير أمركة العالم، وإعادة بناء العقل الإسلامي على النمط الأمريكي.

ولا شك أن من دواعي الاستفزاز لعقلنا وحضارتنا أن يزعم الأمريكيون أو غيرهم، أننا نحتاج إلى من يلقننا مفاهيم الحرية أو حقوق الأقليات أو احترام المرأة أو غيرها من المفاهيم لأن ذلك كله جزء لا يتجزأ من قيمنا الحضارية أكثر من الغرب عشرات المرات، فالحرية من صميم المنهج الإسلامي، بل هي مقدمة على التوحيد لأن حرية الاختيار أساس المسئولية والحساب والعقاب وكذلك ضرب نصنا النظري " الكتاب والسنة " وتراثنا الحضاري وممارساتنا أروع أمثلة التعايش بين الأقليات ومختلف الأجناس والأعراق، ويكفي أن أقليات عرقية ودينية عاشت ولا تزال في كنف المجتمعات الإسلامية ولم يحدث لها تطهير عرقي كما حدث ويحدث في الغرب " أوربا وأمريكا " حتى الآن تقريباً، والحرية الغربية مثلاً حرية عنصرية وإلا لماذا يسكت الغرب وأمريكا على انتهاك تلك الحرية بصورة يومية وعلى مدار الساعة في فلسطين المحتلة منذ ٥٤ عاماً وقبله عشرات الأعوام، والأمثلة أكثر من أن تحصى في إطار العنصرية الغربية تجاه الآخر بل تجاه المرأة، وهكذا ففاقد الشيء لا يعطيه فلن يعلمنا الغرب وأمريكا قيماً هم أنفسهم يفتقدونها على المستويين العالمي والإنساني.

ولا يعني هذا بالطبع أننا نرفض التطوير أو الاستفادة من كل تقدم وكل قيمة صحيحة ونبيلة " فالحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق بها "، شريطة ألا يكون ذلك نوعاً من الإملاء، وشريطة أن يكون ذلك أمراً صحيًّاً وليس في إطار إعادة تشكيل وتنميط العالم بما يتلاءم مع عنصر الهيمنة الأمريكية.

* * * * *

اغتيال فرانسو الحاج

هل هو اغتيال للتوافق اللبناني

من الصعب جداً تحديد المسئول والمستفيد من اغتيال فرانسو الحاج مدير العمليات في الجيش اللبناني، وهو الرجل الثالث في المؤسسة العسكرية اللبنانية، ولكن وفقاً للقواعد المتبعة ووفقاً للدستور في لبنان، فإن قائد الجيش اللبناني يكون من الطائفة المارونية، ومن ثم فإنه كان المرشح الوحيد تقريباً لخلافة العماد ميشال سليمان القائد الحالي للجيش اللبناني، إذا ما تم انتخابه رئيساً للجمهورية اللبنانية وهو شخص مقبول من كل الفرقاء في لبنان، لأنه رفض منذ عام ١٩٧٦ الانضمام لجيش سعد حداد الموالي لإسرائيل، وبالتالي فهو مقبول من المقاومة اللبنانية " حزب الله "، ومقبول من فريق الأكثرية لأنه مجرد جنرال محترف، وهو أيضاً من المنتمين إلى عقيدة الجيش اللبناني في عدم الولاء إلا للبنان وعلى حد قول الرئيس نبيه بري رئيس البرلمان اللبناني وهو من الطائفة الشيعية فإن العميد فرانسو الحاج كان أحد الأركان الأساسيين في ضمان عقيدة الجيش الوطنية. وهو أيضاً أحد تلاميذ الجنرال ميشيل عون الذي أصبح واحداً من أبرز المعارضين لحكومة السنيورة ومن أكبر حلفاء حزب الله، وقد صرح الجنرال عون بأن اللبنانيين خسروا قائداً كبيراً.

وهكذا فإنه لا مصلحة مباشرة لأي من فريق المعارضة أو الأكثرية في اغتيال العميد فرانسو الحاج، وكذا فهو ليس من المعادين لسوريا في لبنان، وبذلك يصبح اغتيال العميد فرانسو الحاج أحد الألغاز اللبنانية وقد يفسر البعض محاولة الاغتيال على أنها نوع من تعطيل عملية انتخاب العماد ميشيل سليمان لرئاسة الجمهورية، على أساس أن خليفته المرتقب في قيادة الجيش سيتم البحث عنه لإرضاء كافة الفرقاء وخاصة المقاومة، التي لن ترضى قائداً للجيش لا يكون متعاطفاً مع مشروع المقاومة، إلا أن هذا التفسير يظل تفسيراً جزئياً في المستوى

القريب زمنياً، لأن المعارضة بالفعل كانت قد وضعت العصي في الدواليب بخصوص انتخاب العماد سليمان لرئاسة الجمهورية الذي يحتاج بالطبع إلى تعديل الدستور اللبناني أولاً، لأن تلك المعارضة اشترطت لذلك أن تتم استقالة الحكومة اللبنانية أولاً، ثم التوافق على حزمة متكاملة أو سلة متكاملة من الإجراءات التي تحدد المناصب في الجيش والحكومة والرئاسة في وقت واحد، وهو ما كان قد صرح به الجنرال ميشال عون في مؤتمر صحفي قبل اغتيال فرانسو الحاج حيث قال الرجل أن الانتخابات للرئاسة لن تتم قبل الأعياد، وهو ما يعني نهاية السنة، وعدم إمكانية اجتماع البرلمان اللبناني لتعديل الدستور قبل مارس ٢٠٠٨ وإلا وقعنا في مخالفات دستورية جديدة، حيث لا يمكن للبرلمان الذي تنتهي دورته الحالية في نهاية العام أن يقوم بالتعديل في فترة انتقالية.

من ناحية ثانية فإن الحديث غير الموثق عن أن العميد فرانسو الحاج كان هو المسئول عن تصفية تنظيم جند الإسلام واقتحام معسكر اللاجئين الفلسطينيين في نهر البارد هو كلام لا يخص العميد فرانسو الحاج وحده، فهو يخص كل قيادة الجيش فلماذا يتم استهداف الحاج وحده، وكذا فإن عملية اغتيال فرانسو الحاج من حيث الزمان والمكان والطريقة لا تسمح بإسناد تلك العملية إلى تنظيم محدود القدرات، فهناك معرفة مسبقة بتحركات العميد فرانسو الحاج لا تسمح بها قدرات تنظيم مثل جند الإسلام ولا غيره، ولا تتسنى إلا لجهاز مخابرات كبير وقادر وفاعل ويمتلك أدوات عالية في الساحة اللبنانية وكذلك مكان الاغتيال بالقرب من القصر الجمهوري والسفارة الأمريكية، وعدد من المصالح والمؤسسات ذات الحراسة العالية جداً. وكذلك الطريقة وكمية المتفجرات المستخدمة في الحادث والدقة التي تمت بها العملية، ثم الانسحاب الآمن جداً للعناصر التي نفذت العملية، كل هذا يقطع بأن المسألة لها علاقة بجهاز قوي وقادر في تلك المنطقة من لبنان وفي لبنان عموماً، وفي كل الأحوال فحتى لو كانت تلك العملية من صنع تنظيم جند الإسلام أو غيره، فلا بد أنه كان بتنسيق مع آخرين وبتسهيلات كبيرة من

داخل الأجهزة اللبنانية ذاتها أو أجهزة أقوى في لبنان من الأجهزة الأمنية اللبنانية. وعلينا بالتالي البحث عن الفاعل الحقيقي في هذا الإطار.

الرسالة الواضحة في عملية الاغتيال، أن مؤسسة الجيش ذاتها لم تعد بعيدة عن الاستهداف، وإذا كان المراقبون يتحدثون عن أن الجيش اللبناني هو المؤسسة الوحيدة الباقية في حالة تماسك وعدم انقسام في لبنان فإن معنى استهداف الرجل الثالث فيها والمرشح لقيادتها قريباً يعني أنه ليس هناك في لبنان شيء خارج السيطرة وأن الجيش ذاته ليس محصناً، وأن القوة التي وراء الاغتيال إما تريد أن تقول أنها أقوى من الجميع، وأنه لا أحد يستطيع تجاهل نفوذها حتى داخل الجيش نفسه، وإما أن المستهدف هو إنهاء حالة التوافق اللبناني الآن وفي المستقبل وأن القوة الفاعلة تريد تفكيك لبنان وتوصيله إلى حالة من السيولة الكاملة أو الحرب الأهلية، وهذه الحالة مفيدة لإسرائيل وأمريكا قبل أي أحد آخر.

على أنه من الغريب والمثير أن تكون هذه العملية هي ثامن عملية اغتيال تتم لشخصيات سياسية وأخيراً عسكرية كبيرة جداً، وفي كل مرة لا تصل التحقيقات إلى شيء فهل هو عجز أمني شامل داخل أجهزة الأمن والاستخبارات والعدالة اللبنانية سواء في وزارة الداخلية اللبنانية أو الجيش اللبناني أو كل أجهزة الاستخبارات التابعة للحكومة أو الجيش في لبنان، أي أن هناك اختراقاً كبيراً لتلك الأجهزة يشلها عن أداء واجبها، وفي كل الأحوال فإن هذه مسئولية الحكومة اللبنانية قبل غيرها وما أطرف أن تقوم الحكومة اللبنانية لتلقي المسئولية في كل مرة على المعارضة وكأن المعارضة هي المسئولة عن إجراء التحقيقات والإتيان بالفاعل والجاني وليس الحكومة في لبنان.

كل شيء في لبنان قابل للتصور والفعل، إلى أن يقضي الله أمراً كان مفعولاً.

* * * * *

الانسحاب الأمريكي من العراق
حقيقة موضوعية

توقعنا قبل عامين تقريبا أن ينهزم الأمريكيين في العراق وأن يخرجوا من هناك.. وأن ذلك أمر مؤكد بالنظر إلى العديد من العوامل الذاتية والموضوعية الخاصة بالمقاومة العراقية وليس شيئاً آخر غير المقاومة العراقية التي استعصت على الذبح والتصفية، بل تطورت قدراتها العسكرية والسياسية باستمرار وبشكل مضطرد. وأصدرنا حينها كتاباً تحت عنوان "مابعد الهزيمة الأمريكية في العراق" طلبنا فيه أن يستعد جميع الفرقاء للتعامل مع حالة مابعد الهزيمة الأمريكية في العراق على أساس أن تلك الهزيمة أمر مفروغ منه.

وبديهي أن ذلك كان نوعا من الاستشراف الفكري القائم على دراسة اتجاه الأحداث، ولكن الآن وفي هذا الوقت فإن ما كان استشرافاً للمستقبل أصبح حقيقة موضوعية، فالجميع يتحدث الآن علناً عن متى وليس هل ينسحب الأمريكيون من العراق، ليس المعارضون للحرب في الولايات المتحدة فقط، ولا دوائر الحزب الديمقراطي هناك، بل داخل دوائر الحزب الجمهوري، وداخل الإدارة الأمريكية، بل على لسان جورج بوش شخصياً، الذي يقول أنه يعمل لتحقيق إنسحاب أمريكي من العراق، ولكن بعد قليل من الوقت وليس فجأة.

الأمر الأكثر دلالة هنا هو أن رئيس جمهورية العراق تحت الاحتلال "جلال طالباني" دعا إلى تأجيل الانسحاب قليلا حتى لاتحدث مأساة وكارثة، وحتى يستطيع الجيش العراقي امتلاك القدرة على ضبط الأمور، وهو أمر مستحيل عمليا لأن ذلك الحديث يتم منذ سنوات وشهور ولم

يحدث فيه أي تقدم.

على صعيد البرلمان الأمريكي فإن مجلس النواب أصدر قراراً - غير ملزم بسحب القوات المقاتلة والاكتفاء بقوات التدريب والدعم - من العراق بحلول أول ابريل من العام ٢٠٠٨م، وقد وافق على القرار ٢٢٣ نائباً من بينهم ٤ نواب جمهوريين، وتحدث النواب الديمقراطيون والجمهوريون أيضاً عن فشل خطة بوش فطالبوا بضرورة تغيير استراتيجية بوش في العراق وتحميل الحكومة العراقية المسئولية عن الدولة - وهو غير ممكن عمليا - أي هي دعوة للاعتراف بالهزيمة والانسحاب تحت ضغط الأمر الواقع، على الجانب الشعبي فإن ٧٠٪ من الأمريكيين باتوا يدعون إلى انسحاب سريع من العراق في عضون ستة أشهر، و٤٠٪ من هؤلاء يدعون إلى بدء الانسحاب فوراً.

على أية حال فإن ذلك هو الجزء الطافي من جبل الجليد، فقرار البرلمان الأمريكي واستطلاعات الرأي العام وانحياز عدد من الجمهوريين إلى جانب قرار الانسحاب السريع يعبر عن حقائق موجودة على الأرض، فخطة بوش لتحقيق أي نجاح في العراق قد فشلت، وكانت تلك الخطة قد زادت من عدد الجنود الأمريكيين في العراق بحوالي ٣٠ ألف جندي إضافي، بهدف القضاء على مقاتلي القاعدة وجيش المهدي، ونجح المالكي في الالتفاف حول قرار تصفية جيش المهدي بالتواطؤ مع زعماء الشيعة، وفشلت جيوش أمريكا والحكومة العراقية في القضاء على مقاتلي القاعدة والمقاومة السنية.. والنتيجة فشل خطة بوش على الجانبين.

ومن المتوقع أن يصدر تقرير في منتصف أغسطس القادم يعترف بهذا الفشل حيث كان من المقرر ترك هذه القوات حتى شهر أغسطس ٢٠٠٧م، ثم تقييم مستوى نجاح خطة بوش، ومن ثم الحكم عليها. ويبدو للعيان الآن أنها فشلت فشلاً واضحا، وعلى مستوى المقاومة مثلاً فإن

معدل العمليات زاد ثلاث مرات في العام الأخير رغم زيادة عدد القوات الأمريكية، ومن الناحية النوعية فإن عمليات المقاومة أصبحت تصل يوميا إلى داخل المنطقة الخضراء في بغداد.

وعلى المستوى السياسي والاقتصادي والأمني، فإن الجميع يتحدث عن فشل حكومة المالكي - إلا أنه ليس هناك بديل - لأن أي حكومة سوف تفشل، خاصة وأن الدستور العراقي الحالي يعكس ويكرس حالة الهيمنة الشيعية الكردية الطائفية، وفي ظل حكومة المالكي وحكومات الاحتلال عموما تدنى الوضع الأمني إلى درجة خطيرة دعت زعماء سياسيين يشاركون حتى في العملية السياسية ومنهم نائب الرئيس العراقي طارق الهاشمي إلى الدعوة لتوزيع السلاح على الناس للدفاع عن أنفسهم. هذا بالإضافة إلى حدوث تدن خطير في مستويات المعيشة دفع ملايين العراقيين إلى هاوية الفقر والحرمان، ووصل الأمر بالعراقيين إلى أن أصبحوا لاجئين في مصر وسوريا وغيرها من البلدان.

* * * * *

obeikandl.com

التحرش الإسرائيلى بسوريا
أكثر من عصفور بحجر واحد

فى مساء الأربعاء، صبيحة الخميس ٤ - ٥ سبتمبر ٢٠٠٧ قامت طائرات إسرائيلية باختراق المجال الجوى السورى فى المنطقة الشمالية، وخرقت هذه الطائرات حاجز الصوت، وألقت بعدد من خزانات الوقود الفارغة على مقربة من الحدود التركية - السورية، وبديهى ان الحكومة السورية أعلنت احتجاجها، وقالت أنها تحتفظ بحق الرد فى الزمان والمكان المناسبين.

وبالطبع فإن الطائرات الإسرائيلية لم تكن فى نزهة أو مجرد تدريب على اختراق حاجز الصوت وإلقاء خزانات الوقود الفارغة، ولكن كانت هناك بالتأكيد أهداف إسرائيلية من هذه العملية أول هذه الأهداف هو إشعار المنطقة بأن إسرائيل لا تزال موجودة، وأنها قادرة على الوصول إلى اى هدف ومكان، وهو الأمر الذى تحرص إسرائيل على إظهاره من وقت لآخر، وكانت الطائرات الإسرائيلية قد حلقت فوق القصر الرئاسى السورى فى يونيو/ حزيران ٢٠٠٦ لتحقيق نفس الهدف التقليدي، الهدف الثانى الإسرائيلى فى هذا الإطار هو تطمين الشعب الإسرائيلى بأن إسرائيل لا تزال قادرة على الردع، وذلك بعد شعور الخوف والتململ الذى أصاب المجتمع الإسرائيلى بعد فشل الجيش الصهيونى فى حربه ضد حزب الله فى الصيف من العام الماضى "حرب صيف ٢٠٠٦" أو عملية الثمن المناسب الذى فشل فيها الجيش الصهيونى فى إنزال هزيمة بحزب الله، بل العكس كان صحيحا، الهدف الثالث هو رسالة إلى الدول العربية تقول أن إسرائيل لن تسمح بحضور سوريا للقمة المرتقبة فى واشنطن التى دعا إليها الرئيس الأمريكي.

ومن ثم فان على تلك الدول العربية إلا تحاول الضغط فى هذا الاتجاه، الهدف الرابع من تلك العملية هو محاولة معرفة قدرة الدفاعات الجوية السورية على أساس أن من الممكن أن تقوم تلك الدفاعات بإطلاق نيرانها على تلك الطائرات المغيرة فيتم معرفة حجم وقوة ومكان تلك الدفاعات، وهو أمر عسكرى معروف وتقليدي، إلا أن السوريين لم يقعوا فى هذا الخطأ ولم يردوا بتلك الدفاعات، وهذا معناه استمرار الغموض حول تلك الدفاعات، وهذا الغموض ذاته طريقة لردع إسرائيل عن التفكير فى شن حرب ضد سوريا، ولعلنا نفهم أيضا تصريحات السيد حسن نصر الله فى ذكرى الحرب بين حزب الله وإسرائيل حيث أعلن الرجل عن وجود مفاجآت كبرى بانتظار إسرائيل إذا ما فكرت فى العدوان على لبنان وهو يقصد طبعا العدوان على لبنان أو سوريا أو حتى مهاجمة إيران عن طريق إسرائيل أو أمريكا، وكانت تقارير استراتيجية قد أشارت إلى أن سوريا قد حصلت على أسلحة متطورة بخصوص الدفاعات ضد الطائرات تسلمتها من روسيا وقامت بتمويلها إيران ومن ثم لن تقف غير مكترثة إزاء ذلك. فى المقابل يرى فريق آخر من المراقبين أن العكس هو الصحيح فسوريا بتحريض من إيران هى التى تنوى شن حرب على إسرائيل، لأن الرئيس بشار الأسد يتمتع الآن بشعبية داخل سوريا تسمح له بذلك، وكذلك فإن وجود صواريخ سورية وأخرى خاصة بحزب الله فى لبنان يمكنها الوصول إلى اى مكان فى إسرائيل سيجعل تحقيق نصر سورى على إسرائيل ممكنا جداً، وفى اقل الأحوال فإن العملية ستكون نوعا من تسخين الأجواء تسمح بفتح موضوع الجولان لتحقيق الانسحاب الإسرائيلى منه - تكرار سيناريو السادات عام ١٩٧٣- وان هذه الحرب يجب أن تتم قريبا قبل أن تستكمل إسرائيل شبكة الصواريخ المضادة للصواريخ، وكذا قبل أن تنسحب أمريكا من العراق حتى يظل الوضع

الأمريكى حرجا خوفا من دعم سوريا وإيران للمقاومة العراقية، ومن ثم فإن الدعم الأمريكى لإسرائيل سيكون محدودا جداً وكذا قبل ان تصل أمريكا إلى صفقة أو حل مع إيران، وبديهى أن إيران الآن من مصلحتها دعم سوريا بالكامل.

الهدف الأخير من عملية الطيران الإسرائيلى ضد الشمال السورى هو تسريب معلومات عن أن تلك الطائرات جاءت من تركيا فى إطار التعاون العسكرى الإسرائيلي - التركي، خاصة أن خزانات الوقود الفارغة التى ألقتها الطائرات الإسرائيلية نزلت على منطقة قريبة من الحدود التركية - السورية، ومن ثم إحراج الحكومة التركية التابعة لحزب العدالة والتنمية وإحراج الرئيس عبدالله جول شخصيا، ومن المعروف ان الحكومة التركية "الوزارة والرئيس معاً" يتعاملان مع موضوع التعاون العسكرى الإسرائيلي - التركى بمنطق المضطر، ومن الملاحظ ان العملية تمت بعد قليل من دخول عبدالله جول لقصر الرئاسة.

* * * * *

obeikandl.com

الحسابات السورية الخاسئة في أنابوليس

تعودنا دائمًا على أن الحكومة السورية تجيد لعب الأوراق السياسية إقليميًا ودوليًا ومهما كانت تلك الأوراق، فإن الإدارة السورية تحصل منها على ثمن كبير، ومن ثم استطاعت سوريا ومنذ فترة كبيرة أن تحقق لنفسها حضورًا قويًا دوليًا وإقليميًا وأن تظل لاعبًا أساسيًا في المعادلات الدولية والإقليمية، وهكذا فإنه من المفروض أن تكون الحسابات السورية في حضور مؤتمر أنابوليس دقيقة كالعادة ولكن المراقب يكتشف هذه المرة أن الأمر لم يكن كذلك.

بداية فإن سوريا مستهدفة من أمريكا، ولولا المقاومة العراقية الباسلة وكذا حزب الله في لبنان لكانت الولايات المتحدة الأمريكية قد قادت محاولات عدة لإنهاء النظام السوري، ومع الفشل الإسرائيلي في حرب صيف ٢٠٠٦ ومع وقوع أمريكا في المستنقع العراقي ومعاناتها من الهزيمة أمام المقاومة العراقية، فإن الأسلوب الأمريكي تجاه سوريا قد تغير باتجاه الاحتواء والتهميش والحصار، بل واستخدام أوراق لبنانية ضد سوريا، وحتى الآن فإن الإدارة الأمريكية لم تنجح كثيرًا في ذلك رغم ما سببته طبعًا من مشاكل للحكومة السورية على خلفية الحصار الأمريكي لسوريا وعلى خلفية الرغبة العربية في حضور سوريا وعدم تجاهلها وعلى خلفية محاولة سوريا أن تكون في قلب الحدث وأن ترسل بإشارات قوية بأنها لا تزال فاعلة من ناحية وأنها ليست طرفًا متمردًا بصورة مبدئية من ناحية أخرى، بل هي تريد المشاركة والحل ولكن الآخرين هم الذين يرفضون. وقد اعتمد قرار سوريا بحضور مؤتمر أنابوليس - الذي انعقد في الولايات المتحدة الأمريكية في ٢٧ / ١١ / ٢٠٠٧ - على مجموعة من المحاور كالتالي:

أن دمشق أعلنت استعدادها لحضور هذا المؤتمر منذ اللحظة التي أقره فيها الرئيس الأمريكي جورج بوش شريطة إدراج مسألة هضبة الجولان المحتلة أو ما يسمى بمسار السلام السوري على جدول أعمال هذا المؤتمر وحسب وزير

الإعلام السوري فإن الحكومة السورية تسلمت دعوة خطية من الحكومة الأمريكية متعهدة - بتوقيع رسمي أمريكي - بمناقشة موضوع الجولان مع عدد من المسئولين العرب والدوليين حول الأمر وتم قبول الدعوة حتى لا تظهر بمظهر الرافض الوحيد وأنها لذلك ذهبت للمؤتمر مستندة إلى الشرعية الدولية وإلى مبدأ الأرض مقابل السلام ومبادرة السلام العربية وأنه ليست هناك صفقة مع الولايات المتحدة حول الحضور وموضوع الوضع في لبنان خاصة انتخابات الرئاسية في لبنان.. انتهى كلام الوزير السوري.

ولكن في الواقع وفي إطار ما حدث في المؤتمر فإن المسئول الأمريكي لوزارة الخارجية في تصريحات رسمية لجريدة الشرق الأوسط في ٢٧ ١١/ ٢٠٠٧ الصفحة الرابعة قال: إن المؤتمر سيركز على العلاقات بين الفلسطينيين والإسرائيليين وإن احتلال إسرائيل ليس مدرجًا على جدول الأعمال الخاص بالمؤتمر.

وبما أن هذا التصريح الرسمي صدر قبل بدء المؤتمر بساعات على الأقل، فلماذا لم يرجع الوفد السوري إلى دمشق؟

إن كلاً من حركتي حماس والجهاد الفلسطيني وحزب الله في لبنان، بل وأطراف أخرى لبنانية متحالفة مع سوريا أعلنت بوضوح رفضها للمؤتمر، وكذا فإن علي خامنئي مرشد الثورة الإسلامية في إيران قد عبر عن رفضه للمؤتمر واعتبره طريقة لمساعدة الإسرائيليين ومنح بعض الاعتبار للبيت الأبيض وكذا دعا السيد محمود أحمدي نجاد في إيران عددًا من الدول العربية لعدم الذهاب إلى المؤتمر؛ لأنه مؤامرة وخدعة، إلا أن الحكومة السورية خالفت حلفاءها جميعًا وفضلت الذهاب إلى المؤتمر، مما يحرج أصدقاءها طبعًا حول المصداقية السورية.

إنه بالنسبة لما حدث في المؤتمر فعلاً فإن المسألة كانت واضحة، وهى أن الهدف من المؤتمر كان الإعلان الأمريكي الرسمي أمام شهود عرب ومسلمين

وفرقاء من كافة الهيئات والمنظمات والقارات بأن إسرائيل دولة عبرية ووطن قومي لليهود وأن موضوع الجولان لم يأت ذكره في حديث الرئيس بوش مباشرة ومن ثم فهل ذهبت سوريا إلى المؤتمر لتكون شاهدًا على أن إعلان إسرائيل دولة عبرية؟

الأوساط السورية ترى أنه لا يصح أن يكون هناك مؤتمر بدون حضور سوري؛ لأن سوريا لها أرض محتلة وأن الهدف من الذهاب كان توسيع هامش مناورة أصدقاء سوريا مثل روسيا والصين وبعض الدول الأوروبية وسط هيمنة القوة العظمى الوحيدة في العالم الآن، كما أنه كان يجب عدم تفويت الفرصة الممثلة في أن هناك قوى داخل الولايات المتحدة ترى أن المؤتمر فرصة لإعادة بناء سياسة أمريكية جديدة لبلادهم وأن سوريا تعهدت أن يكون تمثيلها أقل من تمثيل باقي الحكومات العربية، (نائب وزير الخارجية وليس وزير الخارجية مثل باقي الوفود العربية).

أوساط غير سورية ترى أن أمريكا هي التي تتعهد بعدم فتح المسار السوري وأنها تضغط على إسرائيل لتأجيل هذا المسار في إطار حصارها على سوريا بسبب موضوع لبنان والعراق وأن الحكومة الإسرائيلية ترى البدء في المسار كنوع من التملص من المسار الفلسطيني ولتحقيق حصار حقيقي للقوى المجاهدة ضد إسرائيل مثل حماس والجهاد وحزب الله باعتبار سوريا هي الحاضن الأساسي لهم.

أيا كانت الأسباب والأسباب المضادة.. فهل حصلت سوريا على شيء فعلي بحضورها المؤتمر؟ وهل هذه الأسباب أصلاً، بافتراض صحتها، كانت تستحق هذه التضحية السورية بإغضاب أو على الأقل مخالفة حلفائها بالحضور؟ وكذلك شهادة لا مبرر لها على إعلان يهودية وعبرية إسرائيل!!.

* * * * *

العالم قلبه على باكستان
وباكستان قلبها على الحجر

الحالة الباكستانية... الشعب والعسكر والأمريكان... الإسلاميون والعلمانيون - الأحزاب السياسية التقليدية والأحزاب الصاعدة أو القوى الصاعدة، القبلية والدينية أي غير التقليدية. التماس مع أفغانستان والقاعدة والتطرف الإسلامي، والحرب على الإرهاب، الملف النووي والقنبلة النووية، التوازن الهش والدقيق في تلك المنطقة من العالم. وكثير من العوامل الأخرى المتداخلة... جعلت تلك الحالة... شديدة التعقيد، شديدة الخطورة، شديدة الأثر على مستقبل العالم.

وإذا صح أن الحرب الأمريكية على الإرهاب، أو الإسلام، أو التطرف أو الاعتدال هي الموضوع الذي سيسمم شكل العالم ومستقبل العلاقات الدولية، ومصير المشروع الإمبراطوري الأمريكي، ومن ثم مصير الشعوب المستضعفة والفقيرة، الرافضة أو المتضررة من ذلك المشروع، فإن باكستان بالتحديد هي من ستقرر المعركة عليها أو على أرضها مصير تلك الحركة هذا بالطبع لا يقلل من شأن الوضع العراقي أو الأفغاني أو الصومالي أو غيرها.... وعلى حين يمكن لأمريكا أن تكون هزيمتها في العراق مروعة وخطيرة، فإن هزيمتها في أفغانستان - وباكستان - هي الأخطر، لأن التوازن الطائفي في العراق يمكن أن يمتص قدرات وقوى الجماعات المناهضة لأمريكا في العراق إلى حد ما، ولكن الفشل في أفغانستان - باكستان - يعني أن هناك قاعدة جديدة قوية من الجماعات المناهضة لأمريكا مثل طالبان، القاعدة، جماعة أنصار الشريعة في باكستان، طالبان باكستان - التحالف البشتوني في أفغانستان وباكستان، مناطق القبائل.... وغيرها، ستكون جاهزة لإنهاء النفوذ الأمريكي في المنطقة وربما العالم، ولا ننسى هنا أن باكستان تمتلك قنبلة نووية، وقدرات نووية يمكن أن تقع في يد المناهضين لأمريكا إذا ما سيطروا على السلطة هناك أو بالقرب من هناك، ولهم علاقات بعلماء

وجنرالات وقادة داخل المؤسسات الباكستانية المسئولة عن الموضوع النووي.

باكستان التي تأسست عام ١٩٤٨، وأياً كان الرأي في انفصالها عن الهند، وكذا تحالفها مع الولايات المتحدة في إطار الصراع مع الاتحاد السوفيتي السابق بالنسبة للولايات المتحدة والهند بالنسبة لباكستان، إلا أن العقيدة القتالية للجيش الباكستاني، وللمؤسسات الباكستانية ظل دائماً هو الهوية الباكستانية، وبديهي أن ذلك كان بالنسبة للشعب الباكستاني. ومع انهيار الاتحاد السوفيتي السابق، ثم محاولة الولايات المتحدة التقارب مع الهند، جاءت أحداث ١١ سبتمبر والصراع الأمريكي مع طالبان والقاعدة في أفغانستان لتعيد الولايات المتحدة إلى مربع التحالف مع باكستان، ولكن في هذه الحالة ضد العقيدة القتالية للجيش الأفغاني وضد المصالح الباكستانية العليا، ومن ثم حدث صراع داخل المؤسسة الباكستانية، ما بين دعاة التحالف مع أمريكا للمحافظة على التوازن مع الهند، وللمحافظة على القدرات النووية الباكستانية، وبين آخرين يرون أن معركة أمريكا مع طالبان والقاعدة ليست بالضرورة هي معركة باكستان، وأن الجيش الباكستاني لا يجب أن يخوض حرباً أمريكية بامتياز. واختار برويز مشرف، أن يتخذ الموقف مع أمريكا، أو اختارت أمريكا برويز مشرف ليكون رجلها في باكستان وأيدته رغم أنه ديكتاتور وعلى عكس كلامها التقليدي عن الديمقراطية. وكانت هذه مفارقة مفضوحة ولكنها ليست جديدة على أمريكا بالطبع.

وأدى هذا الموقف الذي اتخذه برويز مشرف في الدعم الكامل للغزو الأمريكي لأفغانستان عام ٢٠٠١ إلى نوع من تفكيك المؤسسات الباكستانية وكذا الصيغة التقليدية للسياسة الباكستانية، فهناك جنرالات وضباط وجنود باكستانيون كانوا متعاطفين مع طالبان من باب الإسلام أو القبلية أو المصلحة الباكستانية العليا. وهناك ضعف مستمر في البنية السياسية للأحزاب التقليدية مثل حزب نواز شريف أو حزب بنظير بوتو. وجاءت حادثة المسجد الأحمر في عام ٢٠٠٧ لتعلن الإفلاس النهائي للصيغة التقليدية الباكستانية من عسكر وأحزاب تقليدية، فلأول

مرة يتم إقحام مسجد ولأول مرة تعلن قوى إسلامية راديكالية تحديها للحكومة، ومن ثم صعدت الراديكالية الإسلامية على حساب الأحزاب الإسلامية التقليدية المشاركة في السلطة، وأصبح هناك تنظيم تطبيق الشريعة أو إنقاذ الشريعة الذي يسيطر على مناطق كاملة ويرفض الجنود مقاتلته بل يستسلمون له ثم يفرج عنهم وهكذا، الأمر الذي يعلن بداية تفكك الجيش نفسه ومن جانب آخر انحازت القبائل في بعض الأقاليم المتاخمة لأفغانستان إلى طالبان، سواء طالبان الأفغانية أو طالبان من الباكستانية، وباتت الصحف والتقارير الإعلامية الخارجة من باكستان تتحدث عن نفوذ طالبان داخل باكستان، وأن باكستان أصبحت الكتف التي يطلق منها طالبان الصواريخ على الأمريكان في باكستان بل وتحدثت تلك التقارير عن أن الإرهاب والتطرف في باكستان أصبح أخطر من أفغانستان.

ومعنى ذلك أن البديل العلماني أو الحزبي التقليدي إسلامياً أو علمانياً لبرويز مشرف لم يعد متاحاً بصورة جيدة أمام الأمريكان، وهو أمر خطير جداً، أصبح برويز مشرف يدركه ومن ثم فهو مطمئن للتأييد الأمريكي الذي لم ينقطع لحظة اللهم إلا في بعض التصريحات الأمريكية، وهي تصريحات لا تسمن ولا تغني من جوع. وبديهي أن برويز مشرف المطمئن للتأييد الأمريكي الفعلي ضرب القضاء والأحزاب والمحامين فزاد من تفكك المجتمع والمؤسسات التقليدية، وفتح الباب أكثر أمام ازدياد النفوذ الطالباني والقاعدي والمتطرف والمتشدد عموماً. ولم يكن غريباً ولا عجيباً من ثم أن تصف الصحف الأمريكية أن المعركة الكبرى ضد الإرهاب ستكون في باكستان وليست في أفغانستان والعراق فقط.

* * * * *

القاعدة.. والخطأ التاريخي

عندما حدث الصدام والعنف بين الجماعة الإسلامية في مصر والحكومة المصرية، وبصرف النظر عمن كان المخطئ، ومن الذي بدأ، ومن الذي أخطأ، فإن المؤكد أن الذي خسر هو المجتمع المصري، والمسلمين. وطالما ناشدنا الجماعة الإسلامية وقتها وقف العنف ولو من طرف واحد، وقلنا وقتها أن الصدام بين المسلمين هو خسارة للجميع، ومن كان لديه إحساس بالقوة فليستخدمها ضد إسرائيل. وأن الصحيح أن يوجه العنف ضد العدو التاريخي للأمة "إسرائيل".. أما الخلاف الداخلي فيتم التعاطي فيه عن طريق النضال السياسي.

ولم تسمع الجماعة الإسلامية وقتها النصيحة، إلا أنها عادت وشعرت بالخطأ في النهاية، والغريب أنها سارت إلى نقيض الأمر، فالمفروض أن توقف العنف، ولكن لا تصل إلى درجة تأييد النظام!!.

أياً كان الأمر، فقد استبشرنا خيراً بوصول الوعي إلى الإسلاميين بضرورة وقف العنف الداخلي - أيا كانت الأسباب والمبررات - وتوجيه العنف إلى أعداء الأمة، خاصة أن أمريكا جاءت بنفسها واحتلت أفغانستان والعراق. وكذا الجهاد ضد إسرائيل.

ولا يختلف اثنان على هذا وأظن أن ذلك يكفي ويزيد ويغطي طاقة كل التيارات الإسلامية بل وغير الإسلامية. أما التصرف بطريقة "دون كيشوت" كما يفعل الدكتور أيمن الظواهري، فيترك القضايا الجوهرية ويخلطها بقضايا تتصل بالداخل في عدد من الدول العربية، فهذا هو الخطأ التاريخي بعينه، ويبدو أننا لانتعلم من الأخطاء!!.

هذا بالطبع لايعني أننا نوافق أو نتفق أو لا نعترض على سياسات هذه

الحكومات، هذا شيء وذاك شيء آخر تماما، نحن نقول أن المعارضة الداخلية تكون بالنضال السياسي، وهذا اجتهاد تمت الكتابة فيه في أكثر من مجال، أما مقاومة الاحتلال فتكون بالكفاح المسلح، كما في حالة المقاومة العراقية والأفغانية والفلسطينية والصومالية... إلخ.

أما أن يدعو الظواهري إلى أعمال داخل دول مثل مصر والسعودية والمغرب.. الخ. أو تقوم القاعدة بتنفيذ عمليات في بلاد مثل المغرب والجزائر والسعودية واليمن.. الخ، فهذا من الخطأ التاريخي، ومرة أخرى أيا كانت الأسباب والدوافع والمبررات، هذا يؤدي إلى اضعاف المجتمع وتقوية الحكومات والإضرار بحركات المعارضة الداخلية، وخسارة مؤكدة للمسلمين، وراحة بشكل ما لاسرائيل وأمريكا، ولذا يجب التوقف عن هذا الخلل فورا.

* * * * *

obeikandl.com

الهدف الحقيقي من مؤتمر (أنابوليس)

بعد أن وصلنا إلى قاع البئر، وتجلت الحقائق واضحة للعيان، يمكننا الآن أن ندرك الهدف الحقيقي من وراء انعقاد مؤتمر أنابوليس، وهذا الإدراك مهم جداً في إطار رسم سياسة صحيحة للمواجهة بالنسبة لجميع الفرقاء العرب سواء منهم من يتخذ موقفا راديكاليا صحيحاً حول تحرير كامل التراب الفلسطيني، أو يسعى إلى أي نوع من السلام مع إسرائيل.

بداية فإن الولايات المتحدة الأمريكية قد بذلت جهوداً كبيرة وضغوطاً شديدة على العديد من الفرقاء العرب والدوليين لحضور المؤتمر وأصرت إصراراً شديداً على عقد المؤتمر في موعده رغم تحذير الكثيرين لها أن المؤتمر سيفشل حتماً، لأن كل من محمود عباس وأولمرت لم يصلا إلى شيء بعد ٧٠ ساعة من المفاوضات سبقت المؤتمر، ومن ثم فإن المؤتمر لن يكون إلا مناسبة لإلقاء كلمات عامة غائمة والتقاط الصور، وهو أمر لايليق بسمعة الولايات المتحدة والرئيس بوش ومكان انعقاد المؤتمر نفسه "مدينة أنابوليس" المشهورة تاريخيا بأنها مكان لحل العقد المستعصية، وهي المكان الذي شهد بداية ظهور وتوحيد أمريكا.

وهكذا فإن إصرار إدارة بوش على عقد المؤتمر، كان يستبطن هدفاً محدداً وكبيراً جداً لدرجة تجاهل كل هذا.. وبديهي أن الهدف الكبير لا

يمنع وجود أهداف أخرى جانبية. ولكن هذه الأهداف الجانبية كان من الممكن تحقيقها بطريقة أو أخرى من ناحية، ولا تفسر بمجرد عقد مثل هذا المؤتمر. وعلى سبيل المثال لا الحصر:

- فإن البعض تحدث عن أن المؤتمر استهدف تقوية إيهود أولمرت ودعمه في رئاسته للوزارة الإسرائيلية وتحقيق أي نوع من النجاح له في مواجهة تدني شعبيتهع في إسرائيل، وعدم تماسك ائتلافه الحكومي، ولا يمكن بالطبع تفسير عقد مؤتمر تحضره ٤٠ دولة وممثلون دوليون لمثل هذا الهدف الصغير.

- البعض تحدث عن حاجة جورج بوش، والجمهوريين في الولايات المتحدة الأمركية لتحقيق أي نجاح حتى ولو كان إعلاميا، لتغطية الفشل الأمريكي في العراق ومن ثم زيادة فرصة الحزب الجمهوري في مواجهة الحزب الديمقراطي في الانتخابات الرئاسية القادمة وكذلك تحقيق نوع من الدعاية الشخصية لجورج بوش كراع للسلام حتى يخرج من البيت الأبيض ومعه هذا السجل!!. وبديهي أن ذلك جزء من العلاقات العامة المستهدفة في مثل هذه المؤتمرات خاصة قبيل الانتخابات.

- البعض تحدث أيضاً عن أن المؤتمر استهدف تحقيق نوع من الإجماع العربي على حصار وضرب حركة حماس، ومن المعروف أن ضرب حركة حماس هو هدف إسرائيلي أمريكي تقليدي ولكنه كان موجوداً قبل المؤتمر وبعد المؤتمر ولا يمكن عقد مؤتمر خاص بمثل هذا الهدف دون أن يتسرب الموضوع على نطاق واسع مع الأخذ في الاعتبار أن محمود عباس يتفوق على إسرائيل ذاتها في هذا الصدد ولا يحتاج للذهاب إلى مؤتمر لتحقيق ذلك. بل إن مندوب محمود عباس في الأمم المتحدة طلب اعتبار حركة حماس حركة إرهابية، وقرار الحكومة الصهيونية باعتبار غزة منطقة معادية قرار موجود منذ شهور قبل

المؤتمر، ومن ثم فهذا تفسير جزئي.

- الحديث عن أن المؤتمر فرصة للتطبيع، هذا صحيح، ولكنه ليس بهذا الحجم، فالسعوديون مثلاً طلبوا بوضوح عدم الالتقاء لا عمداً ولا صدفة بأي إسرائيلي في المؤتمر، ووافقت الولايات المتحدة على ذلك. ودبرت إدارة المؤتمر دخول وخروج الوفود بطريقة تسمح بتحقيق الطلب السعودي.

- تحدث البعض عن أن الهدف غير المعلن للمؤتمر هو وقف النفوذ الإقليمي المتزايد لإيران في المنطقة، والحقيقة أن تحالفاً ضد إيران لم يكن ليتم بهذه الطريقة، ولا يحتاج أصلاً لهذه التغطية غير المباشرة، أو الدخول في مناطق شائكة تعتبر من الأمور الحساسة بالنسبة للشعوب العربية والإسلامية، بمعنى أن عقد مؤتمر لحل قضية فلسطين، ثم لا يجد الناس حلاً، بل دعماً مستمراً لإسرائيل يعني التعاطف العكسي مع الولايات المتحدة، ومن ثم يفيد إيران أكثر مما يضرها.

- إن الولايات المتحدة لم تضغط بعد المؤتمر حتى في اتجاه تحقيق الجزء المتواضع من قرارات المؤتمر، فقد تقدم منذوبها الدائم لدى الأمم المتحدة خليل زادة بمشروع قرار إلى مجلس الأمن لدعم مقررات مؤتمر أنا بوليس، ثم عاد فسحبه، الأمر الذي يعني أن الولايات المتحدة ليست جادة في تطبيق مقررات المؤتمر إلى هذه الدرجة، ومن ناحية إسرائيل فإن أولمرت نسف مقررات المؤتمر نسفاً بمجرد وصوله إلى إسرائيل قادماً من أنابوليس، فقد صرح مباشرة بأنه لا تنازل عن القدس، وأن موضوع الجدول الزمني (عام ٢٠٠٨) ليس أمراً ملزماً ولا حتمياً، وهو ما فهمه حلفاؤه في الائتلاف الحكومي، خاصة ايلي يشاي وأفيجدور ليبرمان، ومن ثم قرر الاستمرار في التحالف الحكومي.

إذن كل هذه الأهداف الجزئية لا تفسر عقد هذا المؤتمر بهذا الحجم وإصرار الولايات المتحدة على ذلك، ومن ثم فإن الهدف الحقيقي للمؤتمر غير هذا كله حتى ولو كان ذلك كله جزءً من الموضوع.

إن الهدف الحقيقي للمؤتمر هو دعوة العالم كله ومنظماته الدولية والإقليمية، وكذا ممثلي الدول العربية وجامعة الدول العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي وممثلي فلسطين ليعلن أمامهم، ويكونوا من ثم شهوداً على أن إسرائيل دولة عبرية ووطن قومي لليهود، وهو ماقاله جورج بوش من قبل فيما يسمى بـ"وعد بوش"، وعاد وكرره في خطبته أمام المؤتمر، وكأنه يريد أن يشهد العالم كله والعرب والمسلمين والفلسطينيين على ذلك، وهو أمر خطير جداً لأن معنى ذلك أنه لاحق للاجئين في العودة، بل أكثر من ذلك.. من الناحية النظرية فإنه لا مكان لمليون ونصف مليون فلسطيني (مسلم ومسيحي ودرزي) للإقامة في فلسطين ١٩٤٨، ومن ثم ربما يتعرضون للتهجير القريب أو البعيد إلى مناطق السلطة في الضفة وغزة.

* * * * *

أمريكا وإيران

سيناريوهات التحالف والصدام

أمريكا وإيران هل يتم تحالف نهائي بين الطرفين، أم تصل الأمور إلى نوع من الصدام المحدود أو الكبير. وما أثر حدوث أي من هذين السيناريوهين على المنطقة.

بداية فإن المحلل الأمريكي المعروف توماس فريدمان قال في مقال قريب له أن التحالف الأمريكي الإيراني سيكون هو الحدث الأهم في القرن الحالي... أي القرن الواحد والعشرين.. ولكن هل الأمور بتلك البساطة.

في السياسة ليس هناك تحالف مطلق أو صدام مطلق، وحتى في حالة التحالف فإن كل طرف يلعب أوراقه للحصول على أكبر قدر من المكاسب عندما يتفق الطرفين، وفي الصدام دائماً تكون هناك خطوط وقنوات خلفية للحوار - حتى لا يخرج الصدام عن السيطرة، ومحصلة هذا أو ذاك هو ما نراه الآن في العلاقة الأمريكية الإيرانية.

الخطاب الأمريكي المعلن هو الهجوم على إيران، واعتبارها الرمز الأكبر لمحور الشر، وفي الخطاب الإيراني المعلن فالعكس صحيح على طول الخط. مع الأخذ في الاعتبار هنا أن ما كانت تعلنه الثورة الإيرانية إبان سنواتها الأولى، وما كان يقوله الزعيم الإيراني آية الله الخوميني عن أن أمريكا هي الشيطان الأكبر، وذلك بمناسبة وبدون مناسبة قد ضعف الآن كثيراً ولكنه لم يتلاشى تماماً، بل إن صعود ما يسمى بالإصلاحيين في إيران لمدة ٨ سنوات إبان حكم آية الله خاتمي، كان جزءاً من التكتيك الإيراني لمحاولة جر أمريكا إلى التفاهم، ولكن حال دون ذلك عدد من الموضوعات والقضايا والملفات، المهم أن سبب سقوط الإصلاحيين في إيران يرجع إلى فشلهم في تحقيق هذا الهدف ومن ثم فلا مبرر لاستمرارهم.

بالطبع فإن إيران الثورة فقدت الكثير من مصداقيتها الثورية عندما ظهر أنها تريد التحالف مع أمريكا ولكن بثمن مناسب وقد ظهر هذا جلياً في الدعم الإيراني الكامل للغزو الأمريكي لأفغانستان، بل إنها هي التي قامت بدور هام في تحقيق نوع من التفاهم بين القوى الأفغانية على حساب طالبان وكذلك ظهر هذا الدور أيضاً في العراق، حيث لعب حلفاء إيران من الأحزاب الشيعية التي طالما احتضنتها إيران ومولتها وخاصة حزب المجلس الأعلى " آل الحكيم " دوراً هاماً في مساعدة الغزو الأمريكي واستمرار الاحتلال على حساب المقاومة العراقية التي كادت تطيح بالمشروع الأمريكي بكامله في المنطقة، ولولا تلك المساعدة الإيرانية الشيعية لتمت هزيمة أمريكا هزيمة ساحقة في العراق والمنطقة.

إيران بالطبع تمسك بالكثير من الأوراق داخل العراق، وتملك أيضاً أوراقاً أخرى بدعمها لحركة حماس والجهاد الفلسطيني، وحزب الله الشيعي اللبناني، وبالتحالف مع سوريا. ويمكنها من ثم أن تحول الجيش الأمريكي في العراق إلى رهائن في يدها في حالة إذا ما تمت لها ضربة أمريكية على نطاق غير محتمل أو مؤثر، وكذلك تستطيع تحريك حزب الله لضرب إسرائيل حليفة أمريكا الرئيسية في المنطقة بالصواريخ. ولذا فإن الولايات المتحدة سوف تفكر عشر مرات قبل أن تقوم بضرب إيران.

ماذا تريد إيران من هذا... إنها تملك أوراقاً هامة، وهي تريد تمديد نفوذها في المنطقة وإقامة مشروع شيعي صفوي على غرار الدولة الصفوية في إيران والعراق وأجزاء من الخليج امتداداً إلى سوريا ولبنان وما أمكن من مناطق آسيا. وهي تريد إطلاق يدها في الخليج مقابل تخليها عن حزب الله في لبنان وتخليها عن التحالف مع سوريا وتخليها عن الملف النووي، وهي لا تمانع في ذلك، بل هي تقبل أن تفعل ما يراد منها أمريكياً - تحقيق انسحاب أمريكي آمن من العراق وإنهاء ملف لبنان لصالح أمريكا - مقابل ثمن مناسب في الخليج والمنطقة، وكذلك التخلي عن الملف النووي الإيراني، ولكن الأمريكيون لا يريدون حتى الآن دفع

هذا الثمن المناسب، والرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد قال إن أمريكا تريد التحالف مع إيران مقابل مصاصة فقط وإيران لن تقبل بذلك، والمسئول السابق للملف النووي الإيراني علي لاريجاني قال أن إيران مستعدة للتفاهم مقابل ثمن مناسب ولكن المشكلة أن الأمريكيين لا يريدون دفع هذا الثمن.

من ناحية الولايات المتحدة، وأياً كانت حساباتها، فإنها قد حولت بيدها إيران إلى دولة إقليمية عظمى، حين أسقطت من على حدودها شرقاً وغرباً قطاعان قويان معاديان لإيران والمشروع الإيراني هما نظام طالبان في أفغانستان، ونظام صدام حسين في العراق. ثم إنها حين عاملت روسيا بقسوة إبان سقوط الاتحاد السوفيتي ومعاناة روسيا الاقتصادية، دفعت في اتجاه دعم روسي لإيران عندما بدأت روسيا تشم أنفاسها وتحل أزماتها.

والولايات المتحدة تحمل في داخلها تياران متعارضان حتى الآن تيار يقول بضرورة التحالف مع إيران لإنهاء المأزق الأمريكي في العراق، والقضاء على بؤر الإرهاب السني كالقاعدة ومن ثم حسم الحرب ضد الإرهاب لحساب الولايات المتحدة الأمريكية وهؤلاء يمثلون الأجهزة السيادية الأمريكية كأجهزة المخابرات والبنتاجون، وقام هؤلاء بتسريب تقرير استخباراتي شارك فيه ١٦ جهازاً استخباراتياً أمريكياً يقول أن إيران أوقفت مشروعها النووي العسكري منذ عام ٢٠٠٣ ومن ثم فلا مبرر لضربها، ومن ثم وضعت الرئيس الأمريكي ذاته في حرج وجعلت حلفاءه الأوربيين يعارضونه علناً بشأن ضرب إيران أو تغليظ العقوبات عليها. وعملياً منعته من ضرب إيران ضربة رمزية أو شاملة لأن ذلك يعد نوعاً من الحماقة من وجهة نظر هذه الأجهزة.

في المقابل نرى أن هناك اليمين الأمريكي الأصولي الذي لا يزال يمتلك نفوذاً واسعاً داخل البيت الأبيض والحزب الجمهوري، بالإضافة إلى اللوبي الصهيوني المؤثر داخل أمريكا يصرون على ضرورة ضرب إيران لأن عدم ضربها يسقط هيبة الولايات المتحدة، ويضع إسرائيل في حرج وخوف، فضلاً عن أن التركيبة

الفعلية والدينية لليمين الأمريكي المحافظ تقود إلى هذا الطريق. وبالطبع فإن هؤلاء يمتلكون نفوذاً واسعاً في الإعلام الأمريكي والعالمي ومن ثم فهم وراء الحملة الإعلامية على إيران. ويرى هؤلاء أن تسريب تقرير الاستخبارات الأمريكية حول وقف إيران لمشروعها النووي العسكري منذ عام ٢٠٠٣ هو نوع من التآمر والتمرد بل والانقلاب على الرئيس بوش شخصياً على حد قول جون بولتون أحد أهم رموز اليمين الأمريكي المحافظ، والمندوب الأمريكي السابق في الأمم المتحدة. أعتقد أن القرار الأمريكي في النهاية سيصل إلى عدم ضرب إيران، على الأقل في المرحلة القليلة المتبقية من حكم بوش، ولكن اللوبي الصهيوني واليمين الأمريكي المحافظ سيعاودون الضغط في هذا الاتجاه.

ماذا لو حدث التحالف...؟! هذا هو السؤال الهم والمرجح جداً لأن مراكز الأبحاث الإسرائيلية التابعة للجيش الصهيوني طرحت هذا السؤال ووضعت سيناريوهات لمنعه، وقالت أنه لو حدث فسيكون سيناريو ضد إسرائيل، وأن إسرائيل ستفكر في ضرب إيران منفردة لجر أمريكا إلى خندق الصدام ولو الشكلي مع إيران... من ناحيتنا فإنه لو حدث هذا التحالف فسيكون على حساب الأمة الإسلامية التي يشكل السنة منها ٩٠ ٪ من تعدادها، وسوف يعني خطراً كبيراً على دول مجلس التعاون الخليجي، وخطراً على العراق، وفتنة بين السنة والشيعة، وإعادة شباب المشروع الإمبراطوري الأمريكي، الذي سيعاود نشاطه بعد فترة من ١٠ - ٢٠ عاماً، وسوف يستهدف العودة من جديد بقوة إلى المنطقة بعد أن تكون الفتنة قد حولتها إلى حالة مزرية من الضعف بل وأيضاً سيكون على حساب وجود إيران ذاتها، لأن عودة هذا المشروع سوف يستهدف تقسيم المنطقة بقسوة إلى كيانات نوعية وعرقية ودينية وطائفية، لن تُستثنى منها إيران ذاتها. وهذا هو جوهر الوثيقة الأمريكية المنشودة في مجلة الجيش الأمريكي تحت عنوان " حدود الدم ".

* * * * *

أوروبا الجديدة

إذا جاز لنا ان نطلق لفظ أوروبا الجديدة على التطورات السياسية الأخيرة في أوروبا وخاصة تغيير القيادات فى اكبر ثلاث دول أوروبية و أهمها وهى ألمانيا الاتحادية، وفرنسا وبريطانيا، فإن من الضروري أن نرصد اثر ذلك على العلاقة الأوروبية الأمريكية عموما، وعلى علاقة كل من هذه الدول مع الولايات المتحدة خصوصا ثم على مستوى اكثر خصوصية وهو علاقة ذلك بالنسبة للموضوع العراقي.

بوجه عام فإن التغييرات السياسية في أوروبا - في عمومها - صبت لصالح الولايات المتحدة الأمريكية، وكانت دعما كبيرا للرئيس الأمريكي جورج بوش بالنسبة للحرب الأمريكية على ما يسمى بالإرهاب، وعلى زيادة التأييد السياسي والعسكري للولايات المتحدة فى كل من أفغانستان والعراق.

في الموضوع العراقي مثلاً، نجد أن المحور الفرنسي الألماني الذي كان يشكله كل من الرئيسين الألماني والفرنسي السابقين "جاك شيراك وجيرهارد شرودر" كان ضد الحرب الأمريكية على العراق، واعتبرت كل من ألمانيا وفرنسا ومعهما روسيا والصين أن تلك الحرب غير قانونية، وغير مبررة أخلاقيا، ولا تستند إلى الشرعية الدولية، وأبدى المحور الألماني الفرنسي معارضة شديدة لتلك الحرب، وبالطبع يمكننا أن نفسر رفض كل من ألمانيا وفرنسا المشاركة في تلك الحرب عسكريا أو تأييدها سياسيا ومحاولة وضع العصا في الدواليب الأمريكية في ذلك الوقت بأنه كان خوفا من انفراد الولايات المتحدة - ومن ثم الرأسمالية الأمريكية - على مناطق البترول في العالم، والتحكم من ثم فى عجلة الصناعة العالمية، وهذا يعنى خطرا شديدا على الاقتصاد الصناعي والتجاري الأوروبي لحساب الرأسمالية الأمريكية.

وبديهي أن فوز إنجيلا ميركل برئاسة الوزارة في ألمانيا صب لصالح

الأمريكان عموما، ولصالح جورج بوش شخصيا، فهي أولا من اقرب أصدقاء جورج بوش، وهى ذات توجه يميني يلائم اتجاه الحزب الجمهوري في الولايات المتحدة، ومن ثم فإن من الطبيعي أن تكون اكثر حماسا للحرب على الإرهاب، واقل معارضة لأمريكا في العراق أو حتى تقدم نوعا من الدعم للحرب الأمريكية على العراق وكل هذا يصب فى مصلحة جورج بوش.

نفس الكلام يمكن ان نقوله عن فوز نيكولاى ساركوزى برئاسة فرنسا فهو يمينى النزعة، يؤيد إسرائيل على طول الخط بل هو عنصرى ايضا له مواقفه المناهضة للعرب والمسلمين فى فرنسا. بل يمكن وصف فوز ساركوزى برئاسة فرنسا على حساب الاشتراكية "روايال" بأنه انتقال للنفوذ بالنسبة لليمين الأمريكى المحافظ أو المحافظين الجدد من الولايات المتحدة إلى فرنسا أو التمهيد للدخول إلى أوروبا، وهو أمر مهم جداً بالنسبة للإدارة الأمريكية الحالية ولديك تشينى نائب الرئيس الأمريكى بالتحديد، وكان ساركوزى من اكبر المعارضين لجاك شيراك فى اطار موضوع الغزو الأمريكى للعراق، وكان مؤيدا لذلك الغزو على طول الخط، بل يدعو إلى المزيد من الغزو فى اكثر من مكان بدعوى ضرورة مكافحة الإرهاب الإسلامي، ووصل الأمر بساركوزى فى ذلك الوقت أن يقول إن فرنسا ارتكبت خطأ تاريخيا برفضها المشاركة فى ذلك الغزو فى ذلك الوقت

على الصعيد البريطاني، فإن تخلى تونى بلير عن رئاسة الحزب "حزب العمال" والوزارة وتسليمهما بالتالى إلى شخص آخر هو"جوردون براون" لايعنى بأى حال من الأحوال تغير الموقف البريطانى بالنسبة لأمريكا وبالنسبة للحرب فى العراق، فصحيح أن تونى بلير كان من أهم أصدقاء بوش والولايات المتحدة، لدرجة أن الرئيس الأسبق جيمى كارتر وصفه بأنه مثل العبد التابع لسيده جورج بوش، إلا أن ذهاب بلير وصعود براون لن يغير فى المسألة كثيرا، فسياسات براون هى امتداد لسياسات بلير، بل إن جوردون براون شخصيا كان وزيرا للخزانة فى حكومات بلير المتعاقبة، وكان من أهم شخصيات حزب العمال، ومن ثم فهو راض عن سياسات بلير وسياسات حزب العمال.

التغييرات الأوروبية اذن هى فى صالح الولايات المتحدة من حيث العموم، ولكن

الأمور طبعا ليست بهذه البساطة، فالحقائق على الأرض أقوى من أن يؤثر فيها صعود ساركوزى وميركل وبراون أو أشد منهم، فالهزيمة الأمريكية فى العراق مثلا والفشل فى أفغانستان لم يكن بسبب معارضة ألمانيا وفرنسا بل بسبب المقاومة العراقية والأفغانية، وبديهى ان تلك المعارضة ستتصاعد لأن أسباب اندلاعها وصعودها لا تزال موجودة فى الواقع المحلى والإقليمى أولا، وأكثر من هذا فإن ظهور بوادر الهزيمة الأمريكية فى العراق جعل شيراك نفسه ومن ثم جيرهارد شرودر يتمنيان الانتصار الأمريكى على المقاومة لان نجاح المقاومة يعنى هزيمة للغرب كله وضياع ثلاثة قرون من الانتصارات الأوروبية على العالم الإسلامي، ومن ثم فإن التغيير فى السياسة كان قبل صعود ساركوزى وميركل بل ربما كان صعودهما نوعا من القلق الشعبى الأوروبى - "الالمانى الفرنسي" - ولذلك اتجه الناخب فى البلدين نحو من يدعم أمريكا لعل وعسى ان تنجح أمريكا فى حربها ضد المقاومة العراقية والأفغانية.

من ناحية اخيرة، فإن حديث جوردون براون، وساركوزى وميركل عن ضرورة الانسحاب من العراق، وبأن الحرب خاطئة.. الخ هو نوع من الاعتراف بالامر الواقع، وليس نقدا لسياسات أمريكا أو اعتراضا على بوش أو احساسا بنوع من المسئولية الاخلاقية هبطت عليهما فجأة وهكذا فان تغييرات القيادات فى أوروبا هو نوع من الاتجاه إلى اليمين يصب لحساب أمريكا، ولكن لن يؤثّر كثيرا فى توازن القوى فى العالم وفى العراق وأفغانستان على وجه الخصوص، ومن ثم فإن تأثيره فى هذا الصدد سيكون محدودا جداً.

فى اطار ما هو اوروبي، فإن هذه القيادات الجديدة ستسعى وخاصة ميركل - ساركوزى إلى اعطاء دفعة وروح للاتحاد الاوروبي، وهذا من الناحية القريبة مفيد لامريكا لانه سيجر الاتحاد الأوروبى كله إلى ناحية أمريكا، ولكنه من الناحية البعيدة سيؤثر سلبا على الولايات المتحدة الأمريكية.

* * * * *

برويز مشرف.. والرهان الخاسر

المواجهات التي حدثت خلال أزمة المسجد الأحمر "لال مسجد" بالعاصمة الباكستانية إسلام اباد والتي انتهت باقتحام الجيش الباكستاني للمسجد، ومصرع العشرات من المعتصمين داخل المسجد وفي مقدمتهم عبد الرشيد غازي قائد هؤلاء المعتصمين.

هذه المواجهات كشفت اختلال كبير في التركيبة السياسية الباكستانية، تلك التركيبة التقليدية القائمة على نوع من التوازن بين حزبين كبيرين هما حزب الشعب، وحزب الرابطة الإسلامية، بالإضافة إلى نفوذ المؤسسة العسكرية من ناحية والجماعة الإسلامية من الناحية الأخرى.

وتعتمد المؤسسة العسكرية في باكستان على نوع من العلاقات الدقيقة القائمة على التحالف مع بكين لتحقيق نوع من التوازن العسكري مع الهند "العدو التقليدي" وكذا على امتلاك قدرات نووية معينة، ولعل امتلاك باكستان للقنبلة النووية وخلافها مع الهند، أضعفت قدرة الحكومة الباكستانية على المناورة، وجعلها في كثير من الحالات تضطر لسماع نصائح واشنطن سواء كانت في صالحها أو غير ذلك للمحافظة على التوازن الاستراتيجي مع الهند، وخوفاً من قيام واشنطن بضرب المراكز النووية الباكستانية، ويمكن النظر إلى تلك الأسباب على أنها حجج تتذرع بها الحكومة الباكستانية لتبرير تحالفها مع واشنطن أو وقوفها ضد البشتون أو طالبان أو التخلي عن مصالحها الاستراتيجية في أفغانستان.

ومن العوامل المتداخلة والمتشابكة أيضاً أن الجيش الباكستاني يقوم على عقيدة معينة تجعل من الصعب على أي حكومة أن تستخدم هذا الجيش بطريقة مطلقة فضلاً عن تعقيدات خاصة عرقية ودينية وطائفية تحكم المجتمع الباكستاني.

ظل هذا التوازن الدقيق يحكم الأوضاع السياسية في باكستان إلى أن تم غزو

أفغانستان عام ٢٠٠١م، واضطرت حكومة العسكر بقيادة برويز مشرف للعمل ضد طالبان مع أن هذا ضد مصالح باكستان الاستراتيجية. وسار برويز مشرف في المسألة إلى آخر مدى يراهن على الأمريكان الذين أعطوه حزاء سنمار ومددوا الجسور مع الهند. ولولا حاجة أمريكا الشديدة لجهد باكستان وحكومة برويز مشرف بالتحديد فيما يسمى بمناهضة الإرهاب لقلبت أمريكا لبرويز ظهر المجن.

ولعل مرارة تجربة برويز مشرف مع أمريكا مثال واضح على أن رهان الحصول على مشروعية لأي نظام حكم من خارج التركيبة الشعبية الداخلية، هو رهان "خاسر"، كما أنه رهان "خائن" أيضا.. وهذا هو الحال في تجربة "جواد المالكي" في العراق، و"عبد الله يوسف" في الصومال، و"كرزاي" في أفغانستان. وبديهي أن الحصول على المشروعية الشعبية هو الضمان الوحيد للاستمرار والشرف معاً.

فالذين يحصلون على مشروعية من خارج شعوبهم عادة يخسرون أنفسهم ويخسرون شعوبهم، ويخسرون مصالح بلادهم أيضا. برغم أن حجج هؤلاء عادة تميل إلى القول بأن التنازل تجاه أمريكا هو للحصول على مصالح معينة أو دفعا لأضرار معينة "في حالة باكستان الخوف من ضرب البرنامج النووي الباكستاني، والخوف من تعقيدات التوازن مع الهند". لكن الحقيقة أن ذلك يظل سيفا معلقاً على رقبة تلك الحكومة، فيفقدون المستقبل الاستراتيجي لدولهم ولمصالحها الحيوية الأخرى، ولا يحققون شيئاً من الأهداف المزعومة "في حالة باكستان فإن الوقوف ضد طالبان يؤدي إلى اضطرابات عرقية في وزيرستان وتململ في صفوف الجيش الباكستاني ذاته وتشوش عقيدته القتالية وضياع ورقة هامة على باكستان ألا وهي وجود حليف قوي لها في أفغانستان.

أياً كان الأمر فإن برويز مشرف اختار أن يرضي الأمريكان وفقا لحسابات ضيقة الأفق، وسار في الشوط بالطبع إلى نهايته، فمطالب وضغوط الأمريكان

لاتنتهي، وهكذا تجرأ الرجل وضرب العلماء والرموز الإسلامية، بل ووصل الأمر إلى حد إقتحام مسجد، وهنا فإن برويز مشرف حفر نهايته بيده، بل ربما كان دفع الأمريكان له للقيام بهذا العمل الأحمق نوعاً من التخلص منه بدفعه إلى الهاوية.

فاقتحام المسجد كان يعني تحدي الوجدان الديني، وتصاعد مد الجماعات الراديكالية خارج الإطار التقليدي للحركات الإسلامية في باكستان، وكان يعني نهاية الاتفاق مع زعماء وزيرستان وهذا يوسع مجال عمل طالبان والقاعدة في كل باكستان، فضلاً عن تدهور الأوضاع الأمنية في باكستان وضعف قبضة الحكومة بسبب العمليات الفدائية في أكثر من مكان ضد قوات الجيش، وهذا الجيش نفسه بدأت تظهر فيه حالات هروب لعدم اقتناع الناس داخله بسلوك مشرف المعادي لعقيدة أفراد الجيش، بل وضباطه وكبار جنرالاته أيضا!!.

والمحصلة أن حصول مشرف على المشروعية من خارج بلده واعتماده على التحالف مع أمريكا أدى إلى وصول باكستان إلى مرحلة حرجة تهدد بتفكك وضعف وتدهور هذا البلد وليس فقط انتهاء حكومة برويز مشرف.

* * * * *

برويز مشرف يفرض الطوارئ في باكستان.. يحل المشكلة أم يعقدها؟

إعلان حالة الطوارئ في باكستان والتي لجأ إليها الرئيس الباكستاني برويز مشرف، هل تحل المشكلة المستعصية في باكستان أم تعقدها، وهل هي نهاية برويز مشرف كما يتوقع الكثير من المراقبين.

الإجراءات التي أتخذها برويز مشرف مؤخرا تحت مسمى حالة الطوارئ، هي أكبر من الطوارئ، بل هي نوع من إعلان الأحكام العرفية، فهذا الإعلان جاء مصحوبا باعتقالات واسعة في صفوف المعارضة وأبرز عناصر السلطة القضائية والمحامين، وتضييق الخناق حول وسائل الإعلام، مع وجود مكثف من قبل قوات الشرطة والجيش الباكستاني في شوارع العاصمة إسلام أباد وكبريات المدن الباكستانية، ونصب الحواجز ووضع الأسلاك الشائكة على الطرق وتعليق العمل بالدستور، وحظر بث أو نشر أي مواد تحتوي على سخرية أو انتقادات في حق رئيس الجمهورية، أو كبار مسؤلي الحكومة والجيش ووقف بث كل القنوات الإخبارية الخاصة ومحاصرة مكاتب حقوق الإنسان في مختلف أنحاء البلاد واعتقال النشطاء في هذا المجال، وفي أول يومين لإعلان حالة الطوارئ وصل عدد المعتقلين إلى حوالي ١٠٠٠ معتقل، وهو رقم كبير بالنسبة لبلد مثل باكستان.

هذه الإجراءات لن تحل المشكلة في بلد مثل باكستان تتمتع بحضور قوى للأحزاب السياسية والدينية من ناحية، وبه خصوصيات عرقية وجهوية لا يمكن للجيش أن يتغلب عليها، ومن ناحية ثانية فإن تلك الإجراءات دفعت حزب الشعب الباكستاني ورئيسته السيدة بنظير بوتو إلى القفز بعيدا عن موكب الرئيس الغارق، بعد أن كانت قد تحالفت معه، خوفا من أن تغرق معه، لأن مصداقيتها الحزبية والسياسية أصبحت في مهب الريح مع تصاعد المد الديكتاتوري للرئيس برويز

مشرف ويبدو أن الرئيس برويز مشرف قرر الهروب من الرمضاء إلى النار، فأحرج كل حلفائه حتى الأمريكان مزدوجي المعايير اضطروا إلى نقده علنا وتأييده سرا، مع الإعلان عن أن تلك الإجراءات لن تحل المشكلة ولكن تعقدها، وأن أمريكا لن توقف المساعدات العسكرية والمالية لباكستان رغم إعلان حالة الطوارئ.

الرئيس برويز مشرف ومنذ أن قام باقتحام المسجد الأحمر وهو يحفر قبره بيديه ويكتب نهايته بنفسه ففي بلد مثل باكستان يمثل الإسلام هويتها الرئيسية لا يمكن اقتحام المساجد بدون ثمن باهظ، اكثر من هذا فإن الجيش الباكستاني نفسه وقد رأى برويز مشرف يقوم بدفعه لخوض الحرب لحساب أمريكا، وجد نفسه غير متحمس في قطاعاته المتوسطة والصغيرة لخوض تلك الحرب وحتى كبار جنرالاته عبروا عن عدم رضاهم بنوع من التعاون والتهاون مع حركة طالبان باكستان وطالبان أفغانستان أما الجنرالات الموالون لبرويز مشرف فقد اندفعوا إلى المستنقع بلا هوادة ولكن هؤلاء لن يكونوا قادرين على الصمود كثيرا، خاصة أن الهروب من الجيش أصبح ظاهرة كبيرة، وكذلك عدم القتال بجدية في مواجهة القبائل وأحيانا التسليم بدون قتال.

برويز مشرف يقوم بعملية خطيرة، لأنه يندفع في اتجاه يعادي هوية الجيش والأمة، ويعادي التاريخ والجغرافيا من أجل التمسك بمنصبه الرئاسي وزيه العسكري في نفس الوقت، ووصل الأمر إلى حد اعتقال مدير المخابرات الباكستانية السابق، وهو أم له دلالاته على أن تغييرا كبيرا في عقيدة الجيش الباكستاني والمخابرات الباكستانية يقوم به برويز مسرف لحساب الأمريكان، وهو أمر يعني تفسيخ باكستان وإضعاف الجيش في مواجهة الهند وهي أمور تقود إلى نهاية برويز مشرف.

من ناحية أخرى فإن تطورات حادة قد حدثت في البنية الاجتماعية والسياسية الباكستانية، فالمعارضة السياسية لم تعد كما كانت ممثلة في حزب الشعب

والرابطة الإسلامية في مواجهة برويز مشرف، بل أصبحت تلك المعارضة السياسية الحزبية ضعيفة وغير قادرة على شد الشارع الباكستاني، الذي توجه أكثر إلى حركات دينية غير تقليدية، فالجماعة الإسلامية والحركات الإسلامية التي كانت تمثل جزءا من التركيبة السياسية التقليدية لباكستان لم تعد قادرة على لحجم المشاعر الدينية في الإطار التقليدي، وبات ولاء المتدينين باتجاه القوى الراديكالية مثل طالبان باكستان والقاعدة والقبائل ، والكثير من الشعب الباكستاني، بل الكثير من القادة العسكريين السابقين يرون الآن أن مستقبل باكستان يرتبط بهؤلاء اكثر مما يرتبط ببروزير مشرف أو بالأحزاب السياسية الباكستانية، ومن الضروري من خلال التاريخ والجغرافيا التحالف مع طالبان أفغانستان أو حتى القاعدة في مواجهة أمريكا والهند. وهو تغيرات استراتيجية لها ما بعدها في بلد يمتلك قنبلة نووية، وله مشاكل مع جارة كبرى هي الهند، وله ارتباطاته التاريخية بالدين الإسلامي باعتباره يمثل هوية باكستان الرئيسية وكذلك تركيبته العرقية المتميزة، وهكذا فليس من الغريب أن يرى عدد من القادة السياسية والمفكرين الأمريكيين أن المعركة الأمريكية الكبرى ستكون في باكستان وليس في العراق أو أفغانستان.

* * * * *

obeikandl.com

بمناسبة موت مصريين في محاولة للهجرة غير الشرعية

البحر من أمامكم والفقر من خلفكم

حادث غرق ١٤٨ شاباً مصرياً أمام الشواطئ الإيطالية، وتحولهم إلى حطام للأسماك في قاع البحر الأبيض المتوسط، ليست الأولى من نوعها وإن كانت الأكثر إثارة في هذا الصدد، لأنها أولاً جاءت متواكبة مع مؤتمر الحزب الوطني المصري الحاكم، والذي تحدثت أوساطه أثناء المؤتمر عن نمو اقتصادي تجاوز الـ ٧ ٪، وعن أن مصر تتقدم وتحقق رخاءً، الأمر الذي يتعارض مع بحث شباب حاصل على درجات علمية عالية أو متوسطة وآخرين يمتلكون مهناً صناعية بحث هؤلاء عن أي فرصة سفر أو عمل حتى لو كان الثمن مغامرة نسبة الموت فيها أعلى بكثير من نسبة الفوز والنجاة، الأمر الذي يؤكد أن هناك فقراً وبطالة دفعت هؤلاء الشباب للبحث عن أي مخرج لهم حتى ولو كان ثمنه احتمال كبير بالموت غرقاً. وتقدر بعض الأوساط الاقتصادية أن عدد الباطلين في مصر وصل إلى ٥ مليون مواطن وهي نسبة كبيرة مقارنة بمن هم في سن العمل قد تصل إلى ٢٠ ٪، هذا بالإضافة إلى أن الكثيرين ممن حصلوا على وظائف بالفعل، لا تكفي دخولهم الاقتصادية على سد حاجاتهم وحاجات من يعولونهم مما يؤدي عادة إلى بحث هؤلاء أيضاً عن السفر والهجرة غير الشرعية وهو ما يعكس حالة من اليأس لدى هؤلاء في إمكانية تحسين أوضاعهم في الداخل. وقد رصدت أجهزة الأمن المصرية أن القضايا التي تم ضبطها بالفعل لمنع الهجرة غير الشرعية وصلت إلى حوالي ١٥٠٠ قضية في السنوات الخمس الأخيرة، وأن المستهدف تسفيرهم في تلك القضايا وصل إلى حوالي ١٧ ألف مواطن، فضلاً عن ترحيل ١٧ ألف مواطن مصري من أوروبا خلال تلك الفترة،

لأنهم وصلوا إليها بطرق غير مشروعة أو لا يملكون أوراقاً ثبوتية أو غيرها من الأسباب، وهكذا فنحن أمام عدد يفوق الـ ٣٠ ألفاً من الحالات التي ت ضبطها أي أن العدد يصل إلى مئات الألوف، لأن حالات الضبط تصل عادة إلى ١٠ ٪.

البحث عن الهجرة والسفر حتى لو كان الثمن الموت غرقاً والتحول إلى طعام للأسماك في قاع المتوسط، أو الوصول إلى إيطاليا مثلاً ثم الترحيل، وفي حالات قليلة النجاح للحصول على عمل، يعني مباشرة أن هناك خللاً كبيراً في البنية الاقتصادية والاجتماعية المصرية، فالدافع إلى هذه المخاطر الكبيرة هو الهروب من الفقر والعجز، وبديهي أن الرجل الذي لا يملك أن ينفق على أولاده عاجزاً أمام الأولاد والبنات والزوجات عن تحقيق طموحاتهم وحاجاتهم، وقد سجلت حالات انتحار مباشرة في مصر لهذا السبب وبديهي أن السفر والمخاطرة أفضل كثيراً من الانتحار من كل النواحي.

وكذلك فإن الشاب المقبل على الحياة حين لا يجد فرصة عمل في بلده أو يتم التمييز ضده في الوظائف ويحرم من وظائف مرموقة في الدبلوماسية أو القضاء لمجرد أنه عجز عن الحصول على الواسطة أو المقابل المادي والمعنوي للسادة الكبار، أو عن تدني حالته الاجتماعية، بالطبع يفقد الولاء ويصل إلى نوع من اليأس يدفعه إلى محاولة المخاطرة، وهذا مرة أخرى أفضل من الانتحار الذي سجلت منه لهذا السبب تحديداً وهو الحرمان من الوظائف رغم التفوق بسبب التمييز لأسباب الواسطة والوجاهة الاجتماعية.

والمسألة بالطبع تحمل شقاً جنائياً، ولكنه شقاً غير موضوعي وجزئي جداً، نعم هناك عصابات تقوم بمهمة البحث عن الراغبين في السفر، والحصول منهم على عدة آلاف من الجنيهات عادة يسددها هؤلاء

بالاستدانة أو رهن البيوت التي يقيمون فيها، أو جمع كل مدخرات الأسرة ودفعها للعصابة لعل وعسى أن يصل المهاجر إلى بلد أوروبي ويعمل ويحصل على المال الوفير فيعيد للأسرة أكثر كثيراً مما دفعت، وهذه حالات موجودة بالفعل ولكنها نادرة، إلا أنها تشكل حافزاً للراغبين والحالمين، أما حديث البعض عن أن من الأفضل لهؤلاء الشباب أن يقوموا بعمل مشروعات بتلك المدخرات فهذا كلام مرسل لا قيمة له، لأن هذه الأموال أولاً أقل من أن تقيم مشروعاً، وثانياً لأن التعقيدات الإدارية والفساد الإداري فضلاً عن اضطراب الأداء الضريبي في مصر يجعل من المخاطرة عمل أي مشروع اللهم إذا في اعتبار صاحب المشروع تسهيل مهمته بطرق غير مشروعة!!. وهو أمر غير متيسر للغالبية الساحقة من الناس.

الحديث عن أن هؤلاء الشباب الباحثون عن الهجرة طماعون هو بدوره حديث رديء، لأن الواقع أن الفقر من ورائهم والبحر من أمامهم، وبديهي أن البحر أفضل من الانتحار أو السفر إلى إسرائيل والعمل هناك كما حدث لآلاف من المصريين، أصبحوا بالطبع غير وطنيين أمام أنفسهم وذويهم.

تبدأ رحلة الموت أو الغرق عادة بجمع عدة آلاف من الجنيهات بطريقة أو بأخرى ثم السفر إلى ليبيا أو المغرب أو تونس أو حتى السعودية ثم الذهاب عن طريق عصابات معينة إلى عمق البحر المتوسط، ثم سفن منتهية الصلاحية فقوارب مطاطة إلى الحدود وعادة ما يكون الموت غرقاً أو التعرض للاعتقال في موانئ إيطاليا أو اليونان هو النهاية، وبديهي أن الحاجة هي التي أفرزت العصابات، ومن ثم فإن إصدار القوانين أو تشديد العقوبات على تلك العصابات لن يحل المشكلة، إنه نوع من الهروب من المسئولية الاجتماعية للدولة والأغنياء الذين تركوا الفقراء.

وبديهي أيضاً أن الأمر لا يخص المصريين وحدهم، فهذه هي حالة كل الفقراء في العالم، أو مشكلة الجنوب الفقير أمام الشمال الغني، أو الفوارق الكبيرة بين جنوب وشمال المتوسط، وهذه بدورها مسئولية دولية، فليس من المعقول أن يصل التفاوت في الدخل والحظ في الحياة بين الشمال والجنوب إلى هذا الحد، وكذا ليس من المعقول أن تنفق الولايات المتحدة مثلاً حوالي ٦٠٠ مليار دولار في الحرب على العراق وفقاً للتقديرات الرسمية الأمريكية، وعدة تريليونات من الدولارات وفقاً للإحصاءات غير الرسمية، ثم تترك الآخرين يجوعون وتتحدث عن الإرهاب، مع أن إنفاق تلك الأموال على تحسين أحوال الجنوب قد يكون أجدى وأنفع في محاربة الإرهاب، ومن ناحية ثانية فإن النفاق الثقافي الأوروبي والأمريكي والعالمي حول الحديث عن إلغاء كل الحواجز الجمركية أمام السلع واعتبار العالم وحدة واحدة وفقاً لقواعد العولمة والسوق الحرة، وهذا يعني فتح حدود الجنوب أمام السلع الأوروبية مما يهدد بإغلاق مصانع ومعامل يعمل فيها أبناء الجنوب، في نفس الوقت الذي يتم وضع المزيد من العراقيل أمام أهل الجنوب للسفر لأوروبا، بل وتحميل دول الجنوب ذاتها مسئولية منع تلك الهجرة غير الشرعية وتقديم المساعدات الفنية لهم في هذا الصدد، ليس معقولاً أن يكون مسموحاً للسلع أن تمر من الشمال إلى الجنوب ويحرم الإنسان من المرور من الجنوب إلى الشمال، أليس هذا ازدواجاً للمعايير في فلسفة العولمة والعالم الواحد، والقرية الإليكترونية الواحدة.... الخ، أم أن الإنسان أقل من السلعة وفقاً لمعايير الحضارة الأوروبية.

الأمر بالطبع يحتاج إلى دراسة حقيقية لتحقيق عالم أكثر عدلاً وليس إصدار مزيد من التشريعات والإجراءات التي تحاصر الفقراء لتزيدهم فقراً.

* * * * *

.. تداعيات سيطرة حماس على غزة!

لا شك أن سيطرة حماس على غزة نقلة نوعية في مستقبل النضال الفلسطيني، فقد تغيرت المواقف والمعادلات بعد هذا الحدث الدراماتيكي. ذلك أن أحداً لم يكن يتوقع حدوث هذا الأمر، ورغم معرفة دوائر السلطة الفلسطينية أن ميزان القوى كان لصالح حماس دائماً في غزة، فإن جميع المراقبين استبعدوا دائماً إقدام حماس على هذه الخطوة؛ لما لها من تداعيات سياسية هائلة ظن الجميع أن حماس غير قادرة على تحملها.

بداية، يمكننا أن ننظر إلى سيطرة حماس على غزة من أكثر من زاوية، فالبعض وصف هذا الأمر على أنه مثل أفعى شرسة تورطت فابتلعت بقرة، لا تستطيع هضمها ولا تستطيع تصريفها، وما من مصير ينتظرها سوى أن تنفجر على نفسها!!.

وهؤلاء يقيمون هذا التحليل على أكثر من سبب وقاعدة، فمن البديهي أن سيطرة حماس على غزة تُخيف جيران غزة وبالذات مصر، من أن يكون ذلك حافزاً للإخوان المسلمين في مصر، وهم من المشكاة التي خرجت منها حماس، أن يكرروا الأمر نفسه، أو يعطي نوعاً من الإحساس بالثقة بالنفس للإسلاميين عموماً، وللإخوان المسلمين، خصوصاً أن خصومهم مجرد ظاهرة كرتونية، وأنه مع الهجوم والمقاومة تتداعى قلاع هؤلاء الخصوم سريعاً، وأن الجيوش والأجهزة الأمنية لم ولن تكون رادعاً حقيقياً إذا ما قررت الحركات السياسية الإمساك بزمام المبادرة، وقد عبّرت دوائر سياسية وصحفية، بل ورسوم كاريكاتوريه في الصحافة المصرية عن هذا الأمر، وفي الحقيقة فإن ذلك صحيح في العموم، ولكن لا يمكن حدوث نوع من الانطباق الهندسي على حالات في غزة بأخرى في مصر؛ لاختلاف الظرف والموضوع، وطبيعة السلطة،

بل وحتى وطبيعة الخبرات السياسية لحركة الإخوان المسلمين في مصر عنها في غزة وفلسطين.

وحتى إذا تركنا هذا الأمر جانباً فإن الحكومة المصرية اعتبرت على لسان وزير الخارجية المصري (أحمد أبو الغيط) أن ما حدث في غزة يمثل تهديداً لأمن مصر القومي، خوفاً من حدوث امتدادات أو اختراقات على الحدود المصرية الفلسطينية خاصة مع وجود مشاكل بين بدو سيناء والحكومة المصرية.

وإذا تركنا العامل المصري في رفضه القوي لسيطرة حماس على غزة والذي دشن بتصريحات الرئيس مبارك عن رفضه لذلك ودعمه لما أسماه بالشرعية الفلسطينية وكذا ما أُشيع عن إفشال مصر لوساطة بين (أبو مازن) وخالد مشعل، وأخيرًا ما حدث في قمة شرم الشيخ التي ضمت كلاً من ممثلي مصر وإسرائيل والأردن وحكومة (أبو مازن)،

إذا تركنا ذلك كله، نجد أن هناك رفضاً أمريكياً أوروبياً إسرائيلياً، ثم إقليمياً عربياً، وبالتالي فهناك حصار متوقع، وهو حصار كان موجوداً أصلاً، ولكنه سوف يزداد، بل إن إسرائيل خفضت في إطار هذا الحصار إمدادات الوقود لغزة، والسلطة الفلسطينية ممثلة في (أبو مازن) قررت إلغاء جوازات السفر للفلسطينيين في غزة.

وهكذا فإن حماس عليها أن تتحمل مسئولية ١.٥ مليون فلسطيني في غزة تحت حصار كامل شامل من الجميع، المجتمع الدولي، والدول العربية، والرئاسة الفلسطينية وإسرائيل، مع بعض الاستشارات التي لن تؤثر كثيرًا في رأي هؤلاء الذين يعتبرون ما حدث هو أفعى ابتلعت بقرة وستنفجر حتماً.

على أن لهذا التحليل نقاط ضعفه الشديدة، فإذا ما انفجرت غزة فإن

هذا سيكون أخطر على مصر وإسرائيل وأمريكا والجميع من استمرارها تحت سيطرة حماس؛ لأن البديل ليس عودة فتح والأجهزة الأمنية، فهذا أصبح صعباً الآن، ولكن البديل سيكون تمدد القاعدة وحركة الجهاد الفلسطيني في غزة، وهذا يمكن أن يكون أخطر على الجميع، ولذا فإن الذين يفهمون المسألة بصورة أدق، مثل إسرائيل، كانت ردود فعلهم أقل حدة من هؤلاء الذين لا يدركون طبيعة الأمور على الأرض في غزة مثل أمريكا ومصر.

وعلينا أن ندرك أيضاً في هذا الإطار، أن الفشل الأمريكي في العراق وأفغانستان سيمتد وبصورة خطيرة إلى غزة إذا انفجرت على نفسها أو تم تصفية حماس داخلها لأن الفراغ هنا ستملؤه نفس القوى الزاحفة من كابول وبغداد.

في الاتجاه الآخر، فإن البعض يرى أن ما حدث في غزة هو بمثابة أسد ينظف عرينه، وهؤلاء يعتمدون في تحليلهم على ما يلي:

* أن المعاناة الفلسطينية في الضفة وأراضي ١٩٤٨، ومن ثم غزة كانت موجودة أصلاً، وفائقة جداً، ومن ثم فان ما حدث لن يعني إلا زيادة طفيفة في تلك المعاناة، والشعب الفلسطيني قادر على تحملها.

* أن هذه المعاناة الزائدة سيخفف منها أو يجعلها أقل من المعاناة التقليدية أن الأمور الأمنية في غزة قد انضبطت بعد سيطرة حماس، ومن الأفضل للناس جداً أن يعيشوا في أمان وألا يخافوا على أرواحهم وممتلكاتهم وأعراضهم من البلطجية واللصوص الذين كانوا يتسترون باسم فتح وتجاوزات الأجهزة الأمنية من إتاوات وفساد وغيرها، من الأفضل للناس أن يواجهوا المعاناة الصريحة مع الاحتلال والقوى الخارجية من مواجهة المعاناة مع البلطجية واللصوص والأجهزة الأمنية الفاسدة.

بل إن البعض يرى أن حجم الخسائر في الحالات الأولى أكثر عادة

من الحالة الثانية مع إضافة الشعور بالكرامة في مواجهة الأعداء أفضل من البلبلة في مواجهة فساد لصوص فتح.

*أن هذا الأمان الذي ترتب على نهاية اللصوص والبلطجية وسيطرة حماس - وبديهي أن هذا مشروط بأن لا تفعل حماس شيئاً مماثلاً، وأن تتصرف كطليعة لكل الأمة وليس للمنتمين إليها فقط - سوف يزيد من الاستقرار الاقتصادي، بالإضافة إلى أن عدم فساد سلطة حماس، بل وإحساس الناس بأن إسماعيل هنيه يفطر مثلهم خبزاً وفولاً وطعمية، سيجعل الناس تحتمل الحصار الاقتصادي، بل ربما أكثر، فإن الوعود والكلام عن إغراق الضفة بالأموال لن يقدم ولن يؤخر ذلك؛ لأنها أموال تصب في سلطة فاسدة، أي أنها ستتحول إلى قصور وملاهي وأرصدة لكبار المسئولين، وسيظل الناس مطحونين في الضفة كما كانوا، وهكذا فإنه حتى من الناحية الاقتصادية ستظل غزة أفضل من الضفة.

* أن ما حدث كان ضرورة أملتها ظروف معينة، وهناك حديث يدور، نشرتُه أكثر من صحيفة أمريكية بل وإسرائيلية، وتحدث عنها علناً، مسئولون أمريكيون، وهو أن هناك خطة كانت معدَّة سلفاً للقضاء على حماس في غزة، وأن حماس عرفت بها، فقررت الهجوم قبل أن تأتي ساعة الصفر، أي أن تتغدى بالخصم قبل أن يتعشى بها، ولا شك أن هذا عمل مشروع وصحيح وذكي.

* أنه حتى يُصرف النظر عن وجود خطة معدة "خطة دايتون " فإن الأمور بطبيعتها كانت تسير في هذا الاتجاه. يقول الرئيس الأسبق جيمي كارتر: " إن إدارة بوش وإسرائيل والاتحاد الأوروبي أسهموا بكل جهدهم فيما آلت إليه الأوضاع الراهنة في الأراضي الفلسطينية من تعميق الخلافات بين فتح وحماس؛ لكي تصل إلى مرحلة التقسيم أو الفصل النهائي بين الضفة وغزة.

* أنه من الصحيح أن الفصل بين غزة والضفة يصب في مصلحة إسرائيل، ولكن في المقابل إذا انتشر نهج المقاومة وأصبحت غزة قاعدة للمقاومة والنضال فان تغيراً موضوعياً ونوعياً سوف يحدث في القضية باتجاه التحرر الحقيقي والإنجاز الجهادي الحقيقي بدلاً من المراوغة في ظل سيولة نضالية وسياسية كانت هي السمة الرئيسية قبل أن تسيطر حماس على غزة.

* أن من الصعب جداً - مهما اجتمعت جيوش دول ومؤامرات حكومات - أن يتم هجوم عسكري على حماس في غزة، فهذا كان يحدث قبل سيطرة حماس على غزة بالجيش الإسرائيلي - وهو قوي بما يكفي -، لذلك لن تزيده قوات أمريكا كلها شيئاً؛ لأنها كانت تعطيه أصلاً كل شيء.

ومع وجود طابور خامس من العملاء في داخل غزة، لم تنجح إسرائيل قط في القضاء على حماس أو المقاومة عموماً، ومن ثم فإن الظروف أصبحت أفضل الآن بعد تنظيف عرين الأسد من الخونة والعملاء والجواسيس، وكذا مع الأخذ في الاعتبار أن المحللين يعرفون أن القضاء على حماس في غزة وأن الفوضى الشاملة، تعني تمدداً طبيعياً للقاعدة من كابول، إلى بغداد، إلى طرابلس، إلى غزة فلسطين، وهو ما لا يريده أحد.

كل هذه التحليلات مشروطة طبعاً بمدى مقدرة قادة حماس على كسب ثقة الجماهير، والتصرف كطليعة وليس كحزب فقط، وأن تعتبر نفسها جزءاً من الشعب وليست معبّرة عن طائفة سياسية فقط، وأن يكون ميزان العدل والمعيارية مع القوى السياسية الأخرى كالجهاد والجبهة الشعبية وغيرهما هو نفسه مع كوادر حماس، بمعنى أن يكون الفرز على قاعدة مواجهة المشروع الإسرائيلي وليس على قاعدة الانتماء إلى الإخوان المسلمين من عدمه.

* * * * *

تقرير الاستخبارات الأمريكية
حول الملف النووي الإيراني.. التوقيت والنتائج

لكي ندرك الأسباب الحقيقية لظهور تقرير الاستخبارات الأمريكية حول الملف النووي الإيراني في هذا الوقت بالذات، يجب أن نضع في اعتبارنا مجموعة من الحقائق والخلفيات الخاصة بالظرف الدولي والإقليمي على النحو التالي.

- بداية فإن التقرير هو عملية تقويم شاركت فيه ١٦ وكالة أمريكية للتخابر والمعلومات، وقد اشتمل التقويم حوالي ١٥ ألف صفحة، وخلص إلى مجموعة من النتائج منها أن إيران كانت بالفعل تمتلك برنامجاً لإنتاج السلاح النووي، وأنها أوقفت هذا البرنامج منذ عام ٢٠٠٣، وأنها الآن تعمل في مجال الطاقة النووية السلمية، ولكنها قادرة على استعادة البرنامج العسكري للطاقة النووية، وإنتاج سلاح نووي في الفترة من ٢٠١٠ إلى ٢٠١٥... أي أن هناك مخاطر حقيقية كانت موجودة وربما تكون موجودة في المستقبل.

- هذا الكلام يعني مباشرة، أن عملاً عسكرياً أمريكياً ضد إيران في الوقت الراهن أصبح احتمالاً بعيداً، وهذا يتفق مع الرؤية الأوروبية المطالبة باحتواء إيران والتفاوض معها بدلاً من ضربها، وكذا يتفق مع جهات هامة داخل الولايات المتحدة الأمريكية، على أساس أن ضرب إيران سوف يثير تعاطف العالم معها، ويعيدها إلى مربع الثورة والنضال، وهو أمر فقدت إيران الكثير من المصداقية فيه، خاصة بعد دورها المشبوه في كل من العراق وأفغانستان، فلماذا تقوم الولايات المتحدة مثلاً بغسيل ثوب إيران البراجماتي، الذي أفقدها الكثير من تعاطف الشعوب

العربية والإسلامية والثوريين في العالم كله، أضف إلى ذلك أن الولايات المتحدة الأمريكية لا تملك القدرة حالياً على غزو إيران على غرار العراق وإسقاط حكومة الملالي هناك لتورطها - وهزيمتها - في كل من أفغانستان والعراق، ومن ثم فإن الضربة المحتملة ستكون ضربة صاروخية وجوية، سوف توجع إيران ولكنها لن تسقط حكومتها ولا تحقق ركوعها وانصياعها الكامل، بل ربما زادتها قوة، فالسم الذي لا يميت يزيد المسموم قوة على حد قول المثل العربي المشهور. أضف إلى ذلك أن إيران تمتلك بدورها أوراقاً يمكن أن تحدث مخاطر لأمريكا وإسرائيل على مستوى إمكانية ضرب إسرائيل بالصواريخ، عن طريق الصواريخ الإيرانية طويلة المدى التي نجحت إيران في إنتاجها مؤخراً، أو عن طريق تسليم صواريخ لحزب الله ليقوم هو بهذا الدور، وكذلك تمتلك إيران تعاطف عدد من المنظمات الثورية مثل حماس والجهاد الفلسطيني وحزب الله، وكذا تنظيمات شيعية في كل مكان في العالم وخاصة في العراق يمكن أن تستهدف المصالح الأمريكية في كل مكان، بل ويمكن أن تحول الـ ١٥٠ ألف جندي أمريكي في العراق إلى رهائن في حالة استطاعت استمالة شيعة العراق في هذا الاتجاه. ومن ثم فإن الضربة الأمريكية لإيران لن تمر بسهولة ومن الضروري والحالة هذه أن يحدث نوع من التراجع الأمريكي عن ضرب إيران، وللمحافظة على ماء الوجه جاء الأمر في هيئة تقرير استخباراتي يبدو وكأنه ليس على هوى الإدارة الأمريكية، ومن ثم فهو تقسيم أدوار بين الإدارة والمخابرات في الولايات المتحدة الأمريكية.

- أن ضرب إيران في هذا الوقت بالذات سوف يرفع أسعار البترول إلى سقف غير محتمل، وهو أمر سوف يثير العالم كله على أمريكا، كما أنه سوف يزيد أرصدة الدول المنتجة للبترول وهذا لا يروق لإسرائيل

بالطبع، ولا لأوروبا ولا الصين واليابان.

- تحدث البعض عن مفاجأة في ظهور التقرير، ولكن الحقيقة أنه لا مفاجأة على الإطلاق، فالتراجع بهذه الطريقة في هذا الوقت هو هدف التقرير، وليس نوعاً من تمرد المخابرات على الإرادة، هذه الاستخبارات التي كانت تفبرك الأخبار والمعلومات عن الملف النووي العراقي، ولن تصبح جهازاً أخلاقياً في غضون عامان أو ثلاثة، كما أن تاريخها لا يسمح بابتلاع أنها تحرت الصدق والحقيقة لوجه الله تعالى.

- أن هذا التقرير يحقق لتلك الاستخبارات نوع من إعادة المصداقية، فهي تظهر بمظهر المخالف - من أجل الحقيقة - لهوى الإدارة الأمريكية، ومن ثم تغسل ما فعلته من كذب وتلفيق في الملف النووي العراقي.

- أن التقرير اشتمل على احتمال إمكانية قيام إيران باستعادة البرنامج النووي العسكري في الفترة من ٢٠١٠ - ٢٠١٥ ومن ثم فإنه يؤسس لإمكانية ضرب إيران عسكرياً فيما بعد ولا يلغي هذه النقطة تماماً.

- أن الولايات تستخدم أسلوب العصا والجزرة مع إيران فقد استصدرتن قرارين بالعقوبة من مجلس الأمن، وبانتظار استصدار الثالث، والحكومة الأمريكية وضعت الحرس النووي الإيراني - وهو شكل من أشكال جيش الدولة في إيران - على قائمة الإرهاب، وفرضت عقوبات على المصارف الإيرانية وعدد من الشركات المتعاملة مع الحرس الثوري داخل إيران وخارجه وهي المرة الأولى التي يوضع جيش دولة على قائمة الإرهاب ومن ثم فإن الطبيعي أنه ما لم تستجب إيران لتلك العقوبات فإن من الضروري ومن باب الكبرياء الأمريكي أن تقوم أمريكا بتأديب إيران، ولما كانت المسألة معقدة جداً ولها مخاطر كبيرة، كان لا بد من

طريقة للهروب من المأزق، فجاء التقرير في هذا التوقيت ليحقق ذلك الهدف.

- أن الذين تحدثوا عن المفاجأة في الموضوع، وكذا الذين رحبوا بهذا التقرير، تعاملوا مع المسألة وكأن المخابرات الأمريكية أصبحت ملاكاً حارساً، يقول الحق ويمنع الظلم ولو على نفسه، وهو نوع من الدعاية لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية، وللولايات المتحدة عموماً، تساهم في تحسين صورتها التي تشوهت كثيراً في الفترة الأخيرة، وفي نفس الوقت فإن هؤلاء وغيرهم من المراقبين والباحثين والمحللين والسياسيين والمسئولين في كل أنحاء العالم دعوا الولايات المتحدة للحوار مع إيران والتفاوض معها، ولا شك أن الإدارة الأمريكية، بل وإيران يرغبان في ذلك جداً، للوصول إلى حل يحقق إنقاذ الولايات المتحدة من المأزق العراقي، التي تملك إيران الكثير من الأوراق داخلها، ويحقق كذلك إمكانية ضم إيران ذاتها إلى المحور المعادي للإرهاب وملف إيران في هذا الصدد يسمح بذلك، فهي ساعدت الولايات المتحدة ضد طالبان - كعدو مشترك - وضد نظام صدام حسين، بل وبارك حزب الله في لبنان ضرب المخيم الفلسطيني بالقرب من طرابلس بدعوى وجود عناصر تنتمي لتنظيم القاعدة داخله.

على كل حال فإن الأيام القليلة القادمة ستكشف المزيد من الحقائق وهل بالفعل تحدث صفقة شاملة بين إيران والولايات المتحدة سوف تكون على حساب السنة أساساً.

* * * * *

تقييم أمريكى للوضع العراقى

مع الشعور المتزايد لدى الرأى العام الأمريكى بأن وضع القوات الأمريكية فى العراق هو بمثابة مأزق كامل، فلا هى قادرة على حسم المعركة لصالحها وصالح حلفائها من الأحزاب والقوى المتحالفة معها، ولا هى قادرة على الانسحاب من العراق لأن ذلك معناه هزيمة استراتيجية للولايات المتحدة والغرب عموما، ومع الطلبات المتزايدة للأوساط السياسية والحزبية فى الولايات المتحدة فى الحزب الديمقراطى وكذا قطاعات مهمة من الحزب الجمهورى - حزب الرئيس بوش - فإن الإدارة الأمريكية عادة ما تسعى إلى طلب التقييم للوضع فى العراق من الأجهزة ومراكز البحوث لتحقيق اكثر من هدف، أولها امتصاص الضغط المتزايد عليها، وثانيها البحث عن مخرج لذلك الوضع البائس، وثالثها الاستناد إلى هذه التقييمات لاتخاذ اى قرار مستقبلى بشأن الانسحاب من العراق، على أساس ان هذا القرار سيؤدى إلى آثار خطيرة على المستقبل الأمريكي، ومن ثم فان من الضرورى أن تتحمل الأجهزة مسؤولية هذا القرار.

بالطبع صدرت الكثير من تلك التقييمات فيما سبق، من مراكز بحثية مستقلة وحكومية، موالية لبوش أو معارضة له، ومن أجهزة أمريكية استخباراتية أو تابعة للخارجية الأمريكية. وفى هذا الاطار ظهر تقييم أخير للاستخبارات الأمريكية للوضع فى العراق وخاصة فى الاشهر الاخيرة مستشرفا توقعات معينة فى المستقبل القريب، هذا التقييم عبارة عن خلاصة جهد وعمل ١٦ جهازا استخباراتيا امريكيا، ولعل أهم ما جاء فى التقييم.

- إن الوضع فى العراق سيء جداً، ولكنه يتحسن ومن المأمول أن يستمر فى التحسن فى الأشهر المقبلة إذا استمرت قوات التحالف فى إجراء عمليات قوية مضادة للتمرد، وهذه النقطة هى نوع من إتاحة الفرصة للرئيس بوش لكى يصمد امام الدعوات المطالبة بالانسحاب الفورى من العراق بمعنى أن هناك فرصة

لتقليل فرص الفشل الذريع، ولكن المراقبين يرون ان هذا الاستنتاج غير صحيح وهو نوع من المواءمة السياسية لا أكثر ولا أقل.

- أنه من غير المرجح ظهور حلول سياسية مقبولة بصفة عامة وضرورية لاستمرار التقدم السياسى والأمنى على المدى الطويل، إلا إذا حدث انتقال أساسى فى العوامل التى تحرك التنمية السياسية والأمنية.. وهذا الكلام يعنى مباشرة انه لا امل فى المستقبل فى حل المشكلة، ومن ثم وضع التبرير لانسحاب أمريكى مستقبلي!!

- إن الإدراك بانسحاب قوات التحالف والتوقعات بانخفاض عدد قوات التحالف يؤدى إلى تشجيع الأحزاب التى تتوقع فراغ السلطة لكى تسعى إلى حلول أمنية محلية يمكن أن تؤدى إلى زيادة العنف الطائفى والمنافسات داخل الطوائف.

- شهدت الأشهر التسعة الأخيرة توسعا فى مقاومة السنة العرب.

- من المحتمل تكثيف النزاع الشيعى - الشيعي، والتنافس على السلطة والموارد، مع توقع تصاعد العنف فى البصرة بالتحديد مع انسحاب قوات التحالف.

- لا توجد قيادات سنية قادرة على المشاركة فى حوار له مغزى والتوصل إلى اتفاقات وطنية.

- تستمر القيادات الكردية فى التركيز على حماية استقلال المنطقة الكردية، وتبدو مترددة فى التوصل إلى حلول وسط فى قضايا رئيسية.

- إن عملية استخدام النفوذ القبلى فى المناطق السنية ضد المقاومة لها تكاليف اقتصادية كبيرة، فضلا عن أنها يمكن ان تؤدى عبر الوقت إلى نقل مزيد من السلطة إلى الاقاليم وتضعف الجهود لفرض سلطة مركزية.

- إن قوات الأمن العراقية لم تتحسن بدرجة كافية لإجراء عمليات أساسية

مستقلة عن قوات التحالف.. أى إن تلك القوات غير قادرة على الإمساك بالأمن فى حالة انسحاب قوات التحالف، ومن ثم فإن التقرير لا يدعو إلى انسحاب سريع ويعطى جورج بوش الفرصة للقول إنه من الضرورى استمرار القوات الأمريكية فى العراق بعض الوقت.

- إن الحكومة العراقية برئاسة المالكى سيهتز وضعها خلال الستة أشهر إلى ١٢ شهراً القادمة، بسبب الانتقادات الموجهة اليها من أطراف تنتمى إلى الائتلاف الشيعى الموحد، ومن آية الله السيستانى ومن أحزاب سنية وكردية أخرى، وزيادة الانشقاق بين الصدريين والمالكي.

- يستمر النزوح القسرى على مستوى جماعى بسبب استمرار العنف الطائفي.

- إن دول الجوار ستستمر فى التركيز على تحسن مواقعها داخل العراق توقعاً لانسحاب قوات التحالف، وأن إيران تقدم المساعدة لجماعات معينة وهذا يغذى العنف فى العراق فى حين تظل الدول العربية السنية متقاعسة فى دعم الحكومة العراقية.

- إن إيران تدعم ميليشيات شيعية معينة خصوصا جيش المهدى منذ بداية عام ٢٠٠٦ على أقل تقدير فى إطار سعيها لتحقيق أوراق فى العراق يمكن استخدامها فى المفاوضات مع أمريكا، فى حين ان سوريا بدأت تفرض إجراءات مشددة على بعض المجاميع السنية المتشددة لأنها تشكل تهديدا لاستقرار سوريا ذاتها، إلا أن دمشق لا تزال مستمرة فى تقديم الدعم لجماعات المقاومة.

- أنه من الصعب تبديل مهمة قوات التحالف من دور مكافحة التمرد إلى دور تقديم الدعم للقوات العراقية، وان ذلك لو حدث سيؤدى إلى تقليص المكاسب الأمنية التى تحققت حتى الآن.

* * * * *

obeikandl.com

حزب العدالة والتنمية
يفوز في الانتخابات التركية

حقق حزب العدالة والتنمية فوزاً تاريخياً في الانتخابات التركية، واستطاع زعيم الحزب رجب طيب أردوغان أن يحجز لنفسه مكاناً هاماً في المعادلة السياسية الدولية للسنوات الخمس القادمة، ذلك أن لتركيا وبالتالي للحزب الحاكم هناك ومن ثم زعيمه أثر هام على منظومة الوضع الإقليمي في منطقة هي الأشد إثارة وخطورة الآن، من ناحية الوضع في العراق وإيران وسوريا وفلسطين ولبنان، بل وبحر قزوين وشرق أوروبا وكلها قضايا لتركيا دور هام فيها.

استطاع حزب العدالة والتنمية بقيادة رجب طيب أردوغان أن يحقق فوزاً مريحا بحصوله على ٣٤٢ مقعداً من أصل ٥٥٠ مقعداً، وبذلك يستطيع أن يشكل الحكومة التركية منفرداً، في حين حصلت أحزاب المعارضة؛ حزب الشعب الجمهوري - المدعوم من الرئيس سيزار شخصياً، والمتحالف بقوة مع الجيش التركي - على ١١٢ مقعداً، وحزب الحركة القومية "أقصى اليمين" على ٧٠ مقعداً، في حين حصل المستقلون على ٢٦ مقعداً "معظمهم من الأكراد".

هذه التركيبة البرلمانية الجديدة تعني أن بإمكان حزب العدالة والتنمية الحكم منفرداً، بل وباستطاعته حسم الأمور التي تحتاج إلى عدد أكبر من الأصوات وليس النصف فقط، عن طريق استمالة المستقلين للتصويت معه.

إذن هو إنتصار كبير له دلالاته السياسية والإقتصادية والإجتماعية والثقافية، هو انتصار يعبر عن نوع من الانقلاب الثقافي في التركيبة

السياسية التركية، أو قل هو نوع من نهاية "الأتاتوركية" أو النهج العلماني المصمت. وحتى لو زعم أردوغان وحزبه احترام العلمانية والدستور وتراث أتاتورك فإن المسألة مجرد وقت حتى يتم الإعلان عن وفاة الأتاتوركية في تركيا. فالحزب حصل على ٤٧٪ من الأصوات، وقد حضر الانتخابات ٨٥٪ من الناخبين، إذن المحصلة أن الشعب التركي صوت ضد الكمالية الأتاتوركية، فالحزب الممثل للكمالية الأتاتوركية "حزب الشعب الجمهوري" حصل على ٢١٪ فقط من الأصوات رغم دعم الجيش له، ورغم دعم رئيس الجمهورية له.

وقد يفسر البعض أسباب فوز حزب العدالة والتنمية بأن ذلك يرجع إلى النجاح في تحقيق نوع من النهضة الاقتصادية ومحاربة الفساد وانضباط الإدارة، مما عاد على الشعب التركي بالراحة الاجتماعية والاقتصادية وهذا صحيح، ولكنه يؤكد الجانب الثقافي في المسألة، فمعنى أن المدرسة الإسلامية التركية تفرز قيادات جادة ومسئولة وغير فاسدة، في حين أن مدرسة العلمانية تفرز قيادات فاسدة وفاشلة وغير قادرة، أن مسألة نهاية الكمالية في تركيا لها أسبابها الموضوعية.

وقد يدعي البعض أن الناخب أراد أن يوجه رسالة إلى العسكر بألا يتدخلوا في السياسة، فصوت بكثافة لصالح حزب العدالة.. أو أن أحزاب المعارضة من يمين الوسط كحزب الطريق القويم أو غيره قد فقدوا دورهم فجاء حزب العدالة ليحل محلهم، أي أنه مجرد حزب يعبر عن يمين الوسط أو الاتجاه المحافظ أكثر مما يعبر عن الإسلاميين، فهذه كلها تفسيرات جزئية لاترقى إلى تفسير الظاهرة، فلماذا يصوت المحافظون من الأتراك لحزب ذي جذور إسلامية ويتركون أحزابهم اليمينية التقليدية، المسالة فيها شق ثقافي وخيار حضاري لاشك فيه بالنسبة للأتراك. وقد يفسر البعض حصول الحزب على هذا العدد الكبير من الأصوات بأن

الأكراد صوتوا لصالحه لأنه لم يكن موافقاً على تحرك الجيش التركي إلى شمال العراق، وهذا بدوره شيء جزئي، لأن العدد الكردي الذي صوت للحزب محدود أولا، ولأن أجندة الحزب بالنسبة للمسألة الكردية ليست مختلفة تماماً عن أجندة الأحزاب الأخرى اللهم إلا في الدرجة. وعلى أي حال فمعنى أن الأكراد يثقون في حزب العدالة والتنمية، فإن معنى ذلك أن الأطروحة الإسلامية هي القادرة على توحيد تركيا، ومنع تفككها وليس المنظومة القومية الطورانية. وكلها عوامل تؤكد الجانب الثقافي في أسباب فوز حزب العدالة والتنمية.

وأخيراً.. فإنه من حق البعض أن يبالغ ويعلق على نتيجة الانتخابات التركية قائلاً "نهاية الكمالية"، أو إنقلاب في السياسة التركية، أو فوز تاريخي لأردوغان أو غير ذلك من العناوين.. ومن حق البعض الآخر أن يصف حزب العدالة والتنمية بأنه حزب براجماتي باع الثوابت الدينية وتخلى عن القيم الإسلامية في مقابل إرضاء الدستور والمؤسسة العسكرية أو حتى الأمريكان، وأنه يتحالف مع الأمريكان، ويسعى إلى دخول البيت الأوروبي، وأنه تنازل من أجل ذلك عن الثوابت... الخ.

ولكن القدر المتيقن منه أن الجانب الثقافي موجود، وأن الجذور الإسلامية لحزب العدالة والتنمية كانت أحد أهم الأسباب لفوز الحزب دون إغفال العوامل الأخرى طبعاً.

ويكفي أن نقول أن التقاليد غير الرسمية في تركيا وغيرها تقتضي صعوبة أن يفوز حزب مرتين في انتخابات برلمانية، فما بالك بأنه فاز وزادت نسبة فوزه عن المرة السابقة.. إنه نوع من التفويض التاريخي في بلد مثل تركيا الذي لم يشهد هذه الظاهرة، ظاهرة فوز حزب واحد مرتين متتاليتين إلا في حالة عدنان مندريس، والمفارقة أن عدنان مندريس حاول وقتها أن يعيد الهوية الإسلامية لتركيا وأعاد الأذان في المساجد باللغة

العربية، ومن ثم فإن تصويت الشعب التركي له مرتين كان مكافأة له على ذلك، أي أن له أسباباً ثقافية قوية، وهكذا فإن الشعب التركي في المرتين الوحيدتين اللتين صوت فيهما لنفس الحزب في انتخابين متتاليين كان السبب الثقافي هو العامل الأهم وهذا أمر له دلالاته.

وبمناسبة الأسباب الثقافية، فإن تركيا مثلا تسعى لدخول الاتحاد الأوروبي، وتمتلك إقتصاداً أقوى من دول لها عضوية قديمة في الاتحاد مثل البرتغال مثلا، ناهيك عن دول أوروبا الشرقية وقبرص واليونان... الخ وكلها دخلت الاتحاد الأوروبي، ومع ذلك يرفض عدد من زعماء أوروبا دخول تركيا إلى الاتحاد الأوروبي، ويضعون الحواجز والعراقيل، وكلما تجاوزت تركيا شرطاً أو حاجزاً تم افتعال شرط جديد.. والسبب الحقيقي لذلك هو الجانب الثقافي في المسألة، فأوروبا لاتريد دولة ذات ثقافة أو تراث إسلامي في النادي الأوروبي المسيحي.

* * * * *

obeikandl.com

دارفور.. والضمير الفرنسي الغائب

أيًا كان مصير قضية خطف الأطفال من تشاد، وسواء نجحت الحكومة الفرنسية في الضغط على حكومة تشاد أو إغرائها بطريقة أو أخرى للوصول إلى نوع من التسوية ومن ثم طي صفحة هذه القضية المتهم فيها عدد من الفرنسيين والأوربيين فإن الحقيقة العارية التي لن ينجح أحدًا في وضع ورقة توت على عورتها، هي أن فرنسا بل أوروبا عانت ولا تزال تعاني من انحطاط حضاري خطير، وأن الحضارة الغربية حضارة غير أخلاقية شكلاً ومضمونًا.

القضية تتلخص في أن منظمة فرنسية تسمى "منظمة لاروس دو ذوية" - وهي منظمة تدعي أنها منظمة إنسانية تقوم على مبادئ الحضارة الأوروبية، وأنها تساعد الفقراء.... إلخ من تلك السفارات التي ثبت كذبها - قامت بخطف أكثر من مائة طفل من لاجئي دارفور في تشاد، وزعمت أنهم أطفال يتامى من تشاد ذاتها وأنهم بلا مأوى أي أنها تقدم عملاً خيريًا وثبت فيما بعد أنهم من دارفور، وأنهم ليسوا يتامى، وأنه تم استدراجهم وخطفهم!!... أي أن هناك جريمة خطف تحت شعار إنسانية، وهناك جريمة كذب لتبرير هذا الخطف، وهذا يكشف مباشرة زيف القيم الأخلاقية الفرنسية والأوروبية عمومًا.

عملية الخطف تمت طبعًا بعيدًا عن عيون السلطات في تشاد أو دارفور أو السودان، وهذا بديهي لأنها جريمة تعتمد على السرية والقول الذي يروج حاليًا أن تلك المنظمة كانت تنوي ترحيل هؤلاء الأطفال إلى فرنسا في طائرة تهبط في مطار فرنسي... أي أن هناك تواطؤًا من السلطات الفرنسية مع الجريمة، ومعنى هذه أن الانحطاط الأخلاقي هو سمة الحكومة الفرنسية بل المجتمع الفرنسي!!، وأن هؤلاء الأطفال سيتم بيعهم لأسر فرنسية وأوروبية تريد تبني أطفال.

وكانت قد أثيرت مشاكل قانونية حول حصول منظمة لاروس دو ذوية على أموال من مشترين فرنسيين دون أن تورد إليهم الأطفال المخطوفين، الأمر الذي يؤكد ضلوع

جهات سياسية وحكومية وقضائية فرنسية في تلك الجريمة وهو يؤكد الانحطاط الأخلاقي للمؤسسة وليست الحكومة الأوروبية، بل الانحطاط الأخلاقي في المجتمعات الأوروبية، إذا لو كان الأمر فيه أخلاق، لتدخلت المفوضية الأوروبية مثلاً، وقامت بالتحقيق ومعاقبة السلطات الفرنسية المتورطة، لأنه كيف يعقل هبوط طائرة تحمل أطفالاً مخطوفين على أرض فرنسية بدون علم السلطات الفرنسية، وكذا لو كان هناك أخلاق فرنسية لقامت المؤسسات المدنية الفرنسية بالتظاهر وإسقاط الحكومة الفرنسية مثلاً!!.

الأخطر من هذا كله أن تلك المنظمة تحديدًا تحصل على دعم فرنسي وتحصل على دعم إتحادي أوروبي!!

على أننا نتصور أن الجزء الغاطس في جبل الجليد أكبر من الجزء الطافي فالجزء الطافي هو خطف أطفال أفريقيين بهدف بيعهم لأسر فرنسية وأوروبية تتبناهم وتربيهم، وهذه جريمة طبعًا، ولكن الأخطر أن هؤلاء الأطفال كانوا سيتم تسليمهم إلى جهات فرنسية تحت هوة الذريعة تقوم ببيعهم كقطع غيار بشرية في أوروبا وليس لأسر تقوم بتربيتهم، فما هكذا يحصل التبني عادة.

أيًا كان الأمر، فإن الحضارة الأوروبية التي مارست الإبادة ضد الهنود الحمر في أمريكا واستراليا والتي قامت بجريمة استرقاق السود على نطاق واسع، والتي نظمت المذابح والنهب في البلاد المستعمرة إبان فترة الاستعمار والتي أنشأت دولة إسرائيل وتسببت في تشريد وشقاء وقتل الفلسطينيين حتى اليوم، ومن ثم فهي حضارة منحطة، لم تتوقف حتى الآن عن ممارسة جرائمها البشعة. ففي السنوات الأخيرة ظهرت جرائم سجن أبي غريب، وجرائم قتل أسرى قلعة جانجي في أفغانستان، وجرائم جوانتنامو، وجرائم إسرائيل المستمرة بلا حصر تحت سمع ودعم أمريكا وأوروبا وجرائم إبادة شعب العراق وأفغانستان وغيرها، وآخرها جريمة خطف أطفال دارفور، كلها تثبت أن الانحطاط الأخلاقي سمة جوهرية في الحضارة الغربية لا يمكنها التخلص أو الشفاء منها.

* * * * *

دلالات قبول إسرائيل بحل الدولتين

لا يمكن بالطبع تصور أن إسرائيل أصبحت فجأة تبحث عن نوع من السلام حتى لو كان سلاماً يضمن لها عدم عودة اللاجئين الفلسطينيين و التخلي عن القدس أو غيرها، لأن إسرائيل بطبيعتها كيان عدواني شكلاً ومضموناً يقوم على التوسع والاستيطان، ومن ثم فإن قبول إسرائيل بما يسمى حل الدولتين يحمل في طياته العديد من الدلالات، وكذا لا يمكن تصور أن الولايات المتحدة الأمريكية يمكن أن تفرض حل الدولتين على إسرائيل، لأن هذا خارج إطار السلوك الأمريكي تماماً القائم على التناغم الكامل مع إسرائيل.

في البدء كانت إسرائيل تراوغ - وهذا شأنها بخصوص قيام دولة فلسطينية على أراض من الضفة وغزة، ولطالما أجلت إسرائيل هذا الاستحقاق المنصوص عليه في اتفاق أوسلو، ولكن المسألة بدأت تتغير باتجاه أن يصبح هذا الحل مطلب أمريكي وإسرائيلي، فالرئيس بوش حين أصدر ما يسمى بوعد بوش وتحدث فيه عن اعترافه بعبرية دولة إسرائيل، وأنها دولة لليهود فوق ذلك بتعهده بقيام دولتين فلسطينية وإسرائيلية يهودية متجاورتان تعيشان في سلام!!. وكذا فإن خارطة الطريق تضمنت هذا الحل، ولكن الإصرار فيها وفي غيرها على ضرورة القضاء على البنية التحتية للإرهاب " حماس والجهاد وكتائب شهداء الأقصى التابعة لفتح وغيرها " جعل كل الأمور تتجمد بانتظار تحقيق هذا الهدف المستحيل عملياً، لأن إسرائيل لم تستطع ذلك رغم عشرات العمليات العسكرية الكبرى، وآلاف العمليات الصغرى، وبديهي أن قوات السلطة بقيادة عباس أعجز من أن تحقق ذلك، وقد تأكد ذلك في الصراع بين عباس ودحلان مع حماس في غزة الذي انتهى بانهيار سريع لقوات دحلان وعباس في مواجهة قوات حماس!!.

حل الدولتين قفز من جديد على سطح الأحداث إبان مؤتمر أنابوليس فقد أجمع كل الفرقاء عليه الرئيس الأمريكي في خطابه وإن كان قد أكد من جديد على

عبرية إسرائيل وأنها دولة لليهود، وأكد أيضاً على أن تكون دولة فلسطين تلك مهمتها هي محاربة الإرهاب!!. وكذا فعل أولمرت وأيضاً طالب محمود أبو مازن بحل لدولتين والدول العربية سواء في خطاباتها التي ألقيت في المؤتمر، أو في مبادرة السلام العربية المعروفة.

أكثر من هذا فإن كبار اليمنيين الإسرائيليين والمتشددين ما عادوا يعارضون هذا الأمر بشكل جدي، ورئيس الوزراء الإسرائيلي ايهود أو لمرت عندما عاد من أنابوليس وأعلن ذلك، لم يواجه باستقالات وزارية من ليبرمان أو غيره. وقد عبر أو لمرت صراحة عن موقفه هذا وبرره تبريراً مفهوماً، يشكل بدوره السبب الحقيقي لقبول إسرائيل ومن ثم أمريكا لحل الدولتين، يقول ليبرمان " إن من الضروري التوصل لحل الدولتين للشعبين لتفادي تكون واقع يشبه الوضع في جنوب إفريقيا خلال فترة سريان نظام التفرقة العنصرية في هذا البلد وأضاف " إننا قد نواجه نزاعاً حول منح الفلسطينيين حق التصويت في مناطق الضفة وغزة أيضاً، الأمر الذي سيؤدي إلى القضاء على دولة إسرائيل نهائياً ".

وفي الحقيقة فإن الدكتور هنري كيسنجر كان قد نصح إسرائيل مؤخراً وبالمناسبة فهو يهودي ومتعاطف مع الصهيونية. كان قد نصح إسرائيل بقبول حل الدولتين بسرعة، لأن هناك متغيرات دولية قد تضر إسرائيل كثيراً، لأن استمرار الوضع الحالي غير ممكن لأنه يزيد رقعة العنف والإرهاب وهو يمكن أن يجعل أوروبا وأمريكا تشعران بأن إسرائيل سبب في هذا الأمر ومن ثم فهي عبء على الحضارة الغربية وكذلك فإن حل الدولة ثنائية القومية ينهي وجود دولة إسرائيل كدولة عبرية لأن العامل الديموجرافي يعمل لصالح الفلسطينيين.

وبعيداً عن كلام أولمرت وكيسنجر، فإن الحقائق على الأرض تقول

- أنه حدث تراجع كبير في قدرات إسرائيل، فقد هزمت في حرب صيف ٢٠٠٦ في لبنان، ولم تستطع بعد كل ما فعلته أن تقضي على حماس والجهاد

الفلسطيني، والجدار العازل لن يحول دون وصول الصواريخ الصغيرة من طراز القسام وغيرها إلى داخل المدن الإسرائيلية، وهذا يعني أن شعور الخوف لدى الإسرائيلي سيصبح هو العامل الأكبر في المعادلة، وهذا ينسف فكرة الصهيونية من جذورها، فالصهيونية في إحدى تجلياتها تحقيق مكان آمن لليهودي لا يشعر فيه بالخوف بعد عصور طويلة من الاضطهاد في أوروبا، ومادامت فلسطين المحتلة أو إسرائيل لم تعد هي المكان الآمن بل العكس أصبحت أقل الأماكن أمناً بالنسبة لليهودي، فإن فكرة الصهيونية قد نُسفت نسفاً. ومن ثم فإن منحنى النزول الإسرائيلي قد بدأ ويمكن توقع نهايتها في فترة زمنية متوسطة.

- أنه لمنع حدوث ذلك، وما دام حل الدولة ثنائية القومية يضر إسرائيل، والوضع الحالي يزيد في رقعة الإرهاب والعامل الديموجرافي داخل إسرائيل ذاتها يعمل بمعدل خطير ضد يهودية الدولة، فإن حل الدولتين يصبح حلاً مثالياً، فمن ناحية فإن إقامة دولة فلسطينية على مناطق الضفة وغزة، مع احتفاظ إسرائيل بما تشاء من أرض نتيجة التاريخ أو التوراة كالقدس مثلاً - من وجهة نظر صهيونية - أو نتيجة الحاجات الأمنية الاقتصادية كمناطق على حدود مصر والأردن، ولأسباب المياه والموارد الاقتصادية، إقامة مثل هذه الدولة تحت السيطرة الإسرائيلية يحقق لإسرائيل حلاً سحرياً، فهو يعطي الفلسطينيين دولة، ومن ثم تم مساعدتها اقتصادياً عن طريق أمريكا وأوروبا، أي حل معيشي للفلسطينيين بدون سيادة أو كرامة، يقلل هامش العنف لدى الفلسطينيين، بل ويوجه البندقية الفلسطينية إلى صدور فلسطينيين آخرين، ومن ناحية ثانية يمكن أن تكون هذه الدولة مكاناً لاستقبال عرب ١٩٤٨، أو جزء منهم في إطار تخفيض الضغط الديموجرافي على إسرائيل، للمحافظة على عبرية ويهودية دولة إسرائيل.

* * * * *

رسالة إلى الإخوان المسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد المرشد العام للإخوان المسلمين بمصر المحترم

السادة أعضاء مجلس الإرشاد المحترمين

السادة أعضاء جماعة الإخوان المسلمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

هذه رسالة بقلب مفتوح من شخص يزعم أنه جزء من الحالة الإسلامية بحكم أشياء كثيرة تعرفونها أو على الأقل تعرفون بعضها... ولولا أنه لا يزال يثق بكم وبدينكم وبقدراتكم لم يكن ليوجه لكم هذه الرسالة هذه إذن رسالة حب وتقدير قبل أن تكون رسالة نقد وتحذير وأنتم تعرفون طبعاً أن المسلم مرآة أخيه، وأنه رحم الله امرؤ أهدى إلى عيوبي، وأن النقد والنقد الذاتي فريضة إسلامية، والصحابي الجليل الحباب بن المنذر نقد نزول المسلمين في مكان معين في غزوة بدر وسمع الرسول له. بل ونفذ كلامه، مادام الأمر لا يتعلق بوحي بالطبع وبديهي أنكم وغيركم لا يوحى إليكم، فالوحي انتهى تماماً بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكذا العصمة لرسول الله وحده والأنبياء من قبله، وتعرض أبو بكر وعمر رضي الله عنهما للنقد العلني في مكان عام، فلم يزدهما ذلك إلا تواضعاً واستجابة. أفأنتم الجماعة الأكبر، والأكثر قدرات وتمتلكون من التاريخ والابتلاء والصبر والمواقف مما يجعلكم أمل الأمة، هذه الأمة التي أعطتكم ثقتها وتأييدها، في النقابات وانتخابات مجلس الشعب وغيرها، ومن ثم فإن عليكم حقاً تجاه الله أولاً ثم الأمة ثانياً ثم هذه الجماهير التي لم تخذلكم قط. الحق تجاه الله وتجاه رسالة الإسلام وشريعته

أمر وجوبي يقتضي ألا تفرطوا في الشرع ولا تشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً أو كثيراً فلا تقدموا تنازلات شرعية للاقتراب من المفاهيم الليبرالية في قضايا الولاية والولاء والبراء والمرأة وغيرها. ولا تخاطبوا أمريكا وغير أمريكا إلا بما يرضي الله وأن تصدعوا بالحق كاملاً، وذلك خير لكم وللأمة، للحاضر والمستقبل.

استمعوا إلي جيداً، إنني أفهم مثلاً أن يؤمن الإنسان بالله ثم يعصاه لأنه ضعيف، ويتوب ويعصي ويتوب، والله غفور رحيم، وأفهم أن يلحد الإنسان ويكفر بالله لأن خللاً أصاب عقله مثلاً أو لغيرها من الأسباب التي لا نقدرها طبعاً، ولكن نفهمها، ولكنني لا أفهم مثلاً أن يؤمن قوم بالله ثم يعاندونه كما فعل بنو إسرائيل، فهذا غباء ما بعده غباء، أو أن يؤمن قوم بالله تعالى ثم يخرجونه من الحساب السياسي أو غير السياسي، فيتقربون إلى أمريكا، أو يزعمون أن الواقعية تقتضي كذا وكيت، وما هي بواقعية، بل هي انتكاس وغباء والعياذ بالله، لأن قصر الحساب على القوة والقدرات والعدد والعدة والمناورات الذكية معناه إخراج الله تعالى من الحساب وهو شر مستطير.

لا معنى أبداً لأن تكون هناك حركة تدعي الإسلامية، ثم تقول أننا لا نقدر على مواجهة أمريكا وإسرائيل مثلاً، أو تقول أننا يجب علينا أن نطمئنهم أو حتى نخدعهم!! فهو طمأنينة في غير موضعها، وخداع للنفس فقط، هذا لا يعني عدم حساب قوة الآخرين وتقديرها مع عدم المبالغة ومع الإيمان الراسخ بأن الله تعالى أقوى الأقوياء وتأملوا معي هذه الآيات المباركات:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا اليَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ * فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ

مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ} [المائدة: ٥١ - ٥٢].

وهذه الآيات تعني حالتنا المعاصرة، لأنه لم يحدث موالاة بين اليهود والنصارى إلا في عشرات السنين الأخيرة، فالتاريخ كان مفعم بالعداوة بينهما، وبديهي أن الموالاة أعلى من التحالف، المهم أن الآية تقصد حالتنا المعاصرة وهذا من إعجاز القرآن الكريم، وتتحدث أيضاً عن هؤلاء الذين يقولون أنهم أقوياء ولا نقدر عليهم - نخشى أن تصيبنا دائرة، ونسأل الله ألا نكون أو تكونوا من هؤلاء، والله تعالى يختتم تلك الآيات المباركات بلفت نظرنا أن النصر والفتح من عنده بطريقة أو بأخرى وليس بالأسباب المادية المباشرة، على المستوى الاستراتيجي والوطني، فإن الناس قد صُدمت من اعتراف ضمني أو غير ضمني قاله مسئول سياسي كبير في الجماعة عن إسرائيل ولا داعي طبعاً للكلام عن أنه لا يقصد ذلك أو أن الكلام فُهم على غير محله، فهذا نوع من الخداع لا يليق بكم، وهو شخص ذكي مخضرم يعرف ما يقول، ونحسب أن له من التقوى ما يجعلنا نُصدم من قبل هذا الكلام منه - نحسبه كذلك ولا نذكي على الله أحداً، فهذا أمر لا داعي له ولا مبرر ولا مناسبة له، أم كونه لا يتفق مع ثوابت الجماعة فهذا صحيح، ولكن من يخرج على الثوابت الاستراتيجية لا بد أن تصدر الجماعة موقفاً بشأنه، وإلا تم اتهامكم بتقسيم الأدوار على كل حال فالناس تنتظر منكم الآن بياناً واضحاً يقول أنكم مع زوال إسرائيل، ومع عدم الاعتراف بمشروعيتها، ومع الكفاح المسلح لإزالتها من كل التراب الفلسطيني، وأن من يقول بغير ذلك يخرج من الجماعة فوراً. وأنكم أيضاً مع الكفاح المسلح ضد الاحتلال الأمريكي والغربي لأفغانستان والعراق، أما الكلام المطاط فلم يعد له محل من الإعراب.

نلفت نظركم أيضاً إلى ضرورة ألا تكونوا بديلاً عن الأمة، بل طليعة لتلك الأمة، وقاطرة لجرها إلى الطريق الصحيح وخميرة للنهضة ورافعة

للوحدة، وأن تبرهنوا عملياً على أنكم تعتبرون الإسلام مسئولية الأمة كل الأمة وأنكم جماعة من المسلمين تريدون الخير لهذه الأمة ونهضتها وأنكم لستم فرقة دينية أو قبيلة أو شعب الله المختار، على مستوى معاملة من هم خارج الجماعة، وعدم التمييز الوظيفي أو الاقتصادي أو السياسي أو الاجتماعي بين من هم في الجماعة ومن هم خارجها.

الناس تنتظر منكم الكثير، لأنكم تحملون أمانة الإسلام، ولأنكم الجماعة الكبرى في هذا الصدد، ولأن لكم من القدرات البشرية والمادية والمعنوية ما يسمح بذلك، لأنه كذلك فإن الناس قد وضعوا فيكم الأمل، ولأنه كذلك فإن الواجب الشرعي يقتضي عدم خذلان الناس.

لقد جاع الناس بالمعنى الحقيقي للجوع وليس المجازي ولم تفعلوا لهم شيئاً وعطش الناس بالمعنى الحقيقي للكلمة وليس المجازي ولم تفعلوا لهم شيئاً وتعذب الناس في أقسام الشرطة وبعضهم مات ولم تفعلوا لهم شيئاً.

وغرق الناس في العبارات في البحر الأحمر وأمام شواطئ الهجرة الأوروبية بالمعنى الحقيقي وليس المجازي أيضاً ولم تفعلوا لهم شيئاً، ألا تخشون غضب الله.

أرجو أن أكون مخطئاً. وهذا اجتهاد نسأل الله فيه ثواب الاجتهاد صواباً أو خطأ. وأكرر قول الإمام الشافعي رحمه الله، قولي صواب يحتمل الخطأ، وقول غيري خطأ يحتمل الصواب، وأكرر وأختم بالقول نرجو من أنفسنا ومن الإخوان ومن الجميع ألا يخرجوا الله من الحساب لأن هذا مقتضى الإيمان.

* * * * *

obeikandi.com

ضربة أمريكية رمزية لإيران!

تصاعد الحديث عن توجيه ضربة أمريكية لإيران ليس بالطبع مجرد كلام لتخويف إيران، أو للاستهلاك المحلي الأمريكي الداخلي، ولكنه يعبر عن حقيقة وخطة موجودة بالفعل لدى الإدارة الأمريكية، وكذا لدى الجيش الصهيوني.

ومن ثم فإن تلك الضربة باتت ضرورة لأكثر من سبب، ويمكن أن تكون أمريكية إسرائيلية مشتركة، أو أمريكية فقط، وهناك احتمال ضعيف أن تكون إسرائيلية فقط بدعم أمريكي طبعًا؛ ذلك أن أضعف الحلقات في الموضوع الإيراني هو إسرائيل طبعًا، التي من الممكن لإيران أن تستهدفها بسهولة بالصواريخ الإيرانية البعيدة المدى، أو عن طريق صواريخ حزب الله، أو حتى صواريخ سوريا، ومن ثم فإن إسرائيل لا تملك أن تقوم بهذه المغامرة، وإذا ما قررت أن تتصرف منفردة، بمعنى أن الأمريكان قد خذلوها، فإن إسرائيل سوف تضرب سوريا على الأرجح.

الضربة الأمريكية لإيران أصبحت من الأمور المحتملة جدًّا، لدرجة أن مراكز الأبحاث والصحف والدوائر الإعلامية راحت تتحدث عن كيفية توجيه هذه الضربة، وليس السؤال عن هل ستحدث أم لا، فمجلة "نيويوركر" الأمريكية كشفت عن أن إدارة الرئيس الأمريكي جورج بوش تدرس إمكانية شن هجمات جوية لكل مواقع قوات الحرس الثوري الإيراني بدلاً من المنشآت النووية الإيرانية. وقال كاتب المقال الصحفي الشهير سيمور هيرش: إن وتيرة الاستعدادات العسكرية الأمريكية لتوجيه ضربة لإيران قد تسارعت في الآونة الأخيرة، وإن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية قد خصصت وحدة للشؤون الإيرانية، وإنه سوف يتم استخدام صواريخ تطلق من البحر والجو بهدف تدمير منشآت القيادة والمراقبة. وتضيف صحيفة "نيويوركر" أن نائب الرئيس الأمريكي ديك تشيني يدفع باتجاه المواجهة مع الإيرانيين.

هذا السيناريو الذي كشفه الصحفي الشهير سيمورهيرش يعني بداية أن الولايات المتحدة قد قررت الانسحاب من العراق، وأنه لتبرير هذا الانسحاب فإنها سوف تضرب إيران كنوع من إثبات القوة أولاً، ولتبرير الانسحاب الأمريكي من العراق ثانيًا، حتى لا تتحول القوات الأمريكية في العراق إلى هدف سهل بالنسبة للصياد الإيراني. واختيار ضرب منشآت ومراكز الحرس الثوري الإيراني هو نوع من إرضاء الرأي العام الأمريكي، على أساس أن هذا الحرس هو الذي دعم قتل الجنود الأمريكيين في العراق، أما ضرب المنشآت النووية فهو في الأساس من أجل إسرائيل، ومن ثم فإن هناك انزعاجًا إسرائيليًا كبيرًا من عدم اهتمام الولايات المتحدة بتوجيه ضربة إلى المنشآت النووية الإيرانية. والاحتمال الأكثر خطورة هنا أن تقوم إسرائيل بضرب تلك المنشآت النووية في حال قيام الولايات المتحدة ببدأ ضرب المواقع الإيرانية.

من جهته فإن السفير السابق في الأمم المتحدة الأمريكي "جون بولتون" - وهو من رموز اليمين المحافظ - قال أمام البرلمان البريطاني: إن الولايات المتحدة ستضطر للقيام بعمل عسكري ضد إيران، وإن الرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد يتحدى الغرب، وإن الضربة الأمريكية على إيران ستكون محدودة.

الحرب المحدودة لماذا؟

لماذا تلجأ الولايات المتحدة لهذا الخيار، أي الحرب المحدودة على إيران، وضرب مواقع الحرس الثوري وليس المنشآت النووية؟

إن المسألة واضحة، أمريكا تريد توجيه ضربة رمزية لإيران لا تستفز الحكومة الإيرانية وحلفائها كثيرًا، ومن ثم يكون ردُّ الفعل الإيراني ومن حلفاء إيران - خاصة التنظيمات الإرهابية - محدودًا ويمكن احتماله، وفي نفس الوقت تحفظ الولايات المتحدة ماء وجهها أمام العالم حتى لا تبدو عاجزة أمام سلسلة التحديات اللفظية من أحمدي نجاد، والعملية من الحرس الثوري في الملف

العراقي. وفي الإطار ذاته فإن الانزعاج والخوف الإسرائيلي من انسحاب أمريكي من العراق يمكن تخديره وتسكينه أمريكيًا بضرب إيران، وكذلك لطمأنة دول الخليج الخائفة من إيران.

على أن الولايات المتحدة في الحقيقة لا تُسرِّب الحديث عن ضرب إيران إلا في إطار تجهيز المسرح للانسحاب من العراق، ولا ننسى هنا أن الكونجرس الأمريكي تبنى خطة "غير ملزمة "، أي استكشافية، لتجزئة وتقسيم العراق. وبديهي أن تجزئة العراق تعني إطلاق يد إيران في الجزء الجنوبي الشيعي، وهذا أفضل لأمريكا؛ لأن ترك العراق بدون استدعاء إيران يعني إمكانية سيطرة المنظمات الإرهابية على العراق وتحويله إلى قاعدة لمطاردة أمريكا، وبديهي أن وجود الدعم الإيراني للشيعة سيمنع إلى حدٍّ كبير هذا السيناريو.

الضربة إذن ستكون رمزية؛ لإرضاء إسرائيل وحلفاء أمريكا، وحفظ ماء الوجه، وتبرير الانسحاب من العراق، وبديهي أن القادة الإيرانيين يعرفون أن الضربة ستكون رمزية، ومن ثم فهم يتحدثون بثقة عن عدم إمكانية إنهاء الملف النووي، وأنه ليس ملفًا سياسيًا، ويجب إخراجه من المفاوضات... إلخ. ويدرك القادة الإيرانيون أو يراهنون على أن الولايات المتحدة لا يمكنها ضرب إيران بطريقة تضعفها جدًا؛ لأن معنى ذلك ترك الساحة في المنطقة للقوات الإسلامية السنية المتشددة، وهي القوى التي ترى الولايات المتحدة أنها أخطر من إيران، وأنه إذا كان من الممكن الوصول إلى حل واتفاق مع إيران فإن ذلك مستحيل مع تلك القوى التي ترغب في تدمير أمريكا وإقامة خلافة إسلامية، وأنها لن تهدأ قبل تحقيق هذا الهدف.

* * * * *

فشل خطة بوش فى العراق هل هو النهاية

ما يسمى بخطة الرئيس الأمريكى جورج بوش لتصحيح الأوضاع فى العراق، والتى تضمنت إرسال حوالى ٣٠ ألف جندى إضافى زيادة على الـ ١٣٠ ألف جندى الموجودين هناك أصلاً، تلك الخطة التى استهدفت - كما قالت الأوساط الأمريكية وقتها - القضاء على الميليشيات وقوى المقاومة وما يسمى بفلول القاعدة وجيش المهدى ومن ثم تحقيق إصلاحات سياسية واقتصادية واجتماعية فى العراق تقوم بها حكومة المالكي، هذه الخطة والتى كان من المقرر لها أن تحقق أهدافها قبل نهاية شهر سبتمبر ٢٠٠٧، يبدو انها تسير إلى فشل ذريع، ومن المتوقع أن يأتى التقرير النهائى الذى سيصدر فى منتصف شهر سبتمبر القادم والذى سيتم فيه تقييم نتائج عملية زيادة القوات الأمريكية بإعلان فشل خطة بوش، بل إن الرئيس الأمريكى نفسه أصبح يلمح إلى أنه شخصيا يريد سحب القوات من العراق فى غضون العام المقبل ولكن بطريقة تدريجية، وكذا فإن أوساط الحزب الجمهورى باتت اقل حماسا للاستمرار فى العراق، وهذا يعنى أن على الرئيس الأمريكى أن ينتظر مشاكل كثيرة فى إقرار الكونجرس للمزيد من التمويل للحرب فى العراق، أى عمليا إجبار الرئيس الأمريكى على تقديم خطة للانسحاب وذلك لأن معنى انضمام عدد من الجمهوريين إلى الاغلبية الديمقراطية فى مجلس الشيوخ والنواب الأمريكيين، هو أن الأمور فى الموضوع العراقى تحديدا لا تسير باتجاه مشروع الرئيس الأمريكى جورج بوش، وبالإضافة إلى هذا فإن الزيادة الهائلة فى نسبة من يريدون الانسحاب من العراق من الشعب الأمريكى وتدنى شعبية بوش كلها تؤكد هذا المسار، وقد كشفت صحيفة "يو إس تودي" عن أن شعبية الرئيس الأمريكى سجلت انخفاضا جديدا وصل إلى نسبة ٢٩ بالمئة وبحسب استطلاع أجرته مؤسسة جالوب فإن المعارضة الشعبية للحرب فى العراق سجلت ارتفاعا قياسيا جديدا، حيث قال نحو ٧٠ بالمئة ممن شملهم الاستطلاع إنهم يريدون سحب

القوات الأمريكية من العراق بحلول شهر إبريل ٢٠٠٨ بينما قال ٤٠ بالمئة منهم إنهم يريدون ذلك فوراً وإن على الكونجرس أن يفعل شيئا لتحقيق ذلك وأن يتصرف فوراً ضد سياسة بوش فى العراق. ومن الجدير بالاهتمام هنا أن الرئيس بوش نفسه يشعر بذلك وأنه يخطط لطرح ما يسميه بمرحلة ما بعد زيادة القوات فى العراق لطمأنة الامريكيين بأنه هو ايضا يريد سحب القوات تدريجيا، وأن عددا من القادة الجمهوريين وزعماء الكونجرس من الحزب الجمهرى اى حزب الرئيس نفسه - حسب وكالة الأسوشيتد برس - يعدون حاليا اقتراحات بهدف تعديل المسار فى العراق من بينها مشروع قرار ملزم يفرض على القوات الأمريكية تغيير مهامها فى العراق والاقتصار على تدريب القوات العراقية.

فشل خطة بوش اصبح حقيقة مؤكدة، ولعل أثر ذلك على رؤية بوش شخصيا، والجمهوريين من حزبه فضلاً عن الرأى العام الأمريكى اصبح واضحا للعيان، اكثر من هذا فإن المجلات المتخصصة الرصينة وصلت إلى حد السخرية من الإدارة الأمريكية وتوقع انسحاب أمريكى من العراق على غرار الانسحاب الأمريكى من فيتنام ووصل الأمر بمجلة رصينة مثل "فورين بولسي" أن تسخر من الإدارة الأمريكية وأن تقول إن أساليب ووسائل عمل هذه الإدارة وطريقة تفكيرها لم تتغير طوال ٤٠ عاما، ونشرت المجلة تقريرا لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية تم إعداده فى ١١ سبتمبر عام ١٩٦٧ تحدث عن التداعيات المتوقعة لخروج القوات الأمريكية من فيتنام وقالت المجلة إنه لو تم استخدام عملية استبدال لعدد من الأسماء فى التقرير لكان صالحا لوصف الحالة التى نحن عليها فى العراق فى عام ٢٠٠٧ اى بعد أربعين عاما كاملة من إعداد هذا التقرير، مثل وضع كلمة المقاومة أو المجاهدين أو حتى القادة بدلاً من الشيوعيين، ووضع العراق بدلاً من فيتنام، وهكذا.. وكان هذا التقرير يتحدث عن ان الانسحاب من فيتنام سيؤدى إلى زيادة شعبية الشيوعية فى العالم، وزيادة نفوذ الاتحاد السوفيتى وضعف الثقة فى القوة الأمريكية، واضطراب فى أوضاع الحكومات والأحزاب

الصديقة للولايات المتحدة الأمريكية إقليميا ودوليا.. الخ. على أرض الواقع، فإن فشل خطة بوش واضح للعيان فمن ناحية فإن الجميع يتحدث عن زيادة نفوذ الميليشيات الطائفية وحالة الطائفية عموما، وان الضربات التى من المفروض أن توجهها القوات الأمريكية لجيش المهدى كانت محدودة وتم احتواؤها وكذا فإن معدل عمليات المقاومة السنية ضد الوجود الأمريكى فى تصاعد الأمر الذى يعنى أن الضربات التى وجهتها القوات الأمريكية ضد حركات المقاومة لم تحقق أهدافها، بل على العكس فإن العمليات المنسوبة للمقاومة تزداد كما ونوعا وتصل إلى قلب المنطقة الخضراء فى بغداد.

ومن ناحية اخرى فإن مستوى العنف والسلوك الطائفى وصل إلى حد ان زعماء سنة مشاركين فى العملية السياسية بمن فيهم زعماء الحزب الإسلامى وصلوا إلى درجة أن يطلبوا من المدنيين تسليح أنفسهم بأنفسهم للدفاع عن مناطقهم ضد التطهير العرقى والطائفي.

والأكثر دلالة فى المسألة فى صدد فشل خطة بوش هو أن الصحف الأمريكية أشارت مؤخرا إلى أن معدل الاعتداءات على القوات الأمريكية زاد ثلاثة أضعاف ما كان عليه قبل دخول القوات الإضافية الأمريكية وفقا لخطة بوش، وقالت صحيفة "يو إس أيه توداي": إن قوافل الإمدادات الأمريكية تعرضت لحوالى ٨٦٩ هجوما فى الفترة من يونيو ٢٠٠٦ وحتى مايو ٢٠٠٧ فى حين لم يتجاوز عدد هذه الهجمات ٢٨١ اعتداء فى الشهور الـ ١٢ التى سبقت هذه الفترة الدامية.

فى الإطار نفسه فإن الأوساط الأمريكية نفسها تتحدث علنا عن فشل حكومة المالكى - اى فشل الشق السياسى فى خطة بوش - وقد كشف مسئول أمريكى أن الحكومة العراقية الحالية قد فشلت فى تحقيق أى من أهدافها مما سيدفع الرئيس بوش للنظر فى تغيير سياساته.

* * * * *

مؤتمر أنابوليس.. علاقات عامة أم مؤامرة؟!

إذا أخذنا في الاعتبار أن كلاً من الرئيس الأمريكي "جورج بوش" ورئيس الوزراء الإسرائيلي "إيهود أولمرت" والرئيس الفلسطيني "محمود عباس" يعانون من ضعف شديد وتراجع في الشعبية وعدم القدرة على التعامل بقوة مع الملفات الشائكة، لأدركنا على الفور أن مؤتمر "أنابوليس" لا يخرج عن كونه مؤتمر علاقات عامة، فالرئيس الأمريكي "جورج بوش" في أسوأ حالات تدني الشعبية منذ وصوله إلى السلطة، وهو في مأزق حقيقي بخصوص العراق، وكذا إيران، ومدة رئاسته قاربت على الانتهاء، بمعنى أنه لم يعد قادراً على اتخاذ خطوات جادة يمكنه تنفيذها فيما بعد؛ ومن ثم فإن قرارا المؤتمر - مهما كان الرأي فيها - لن تجد رئيساً أمريكياً يدافع عنها أو ينفذها؛ ومن ثم فإن أحداً من الأطراف لن يأخذها على محمل الجدية.

ورئيس الوزراء الإسرائيلي "إيهود أولمرت" محكوم بقضايا فساد داخلية وتدني في الشعبية، وكذلك المسؤولية الملقاة على عاتقه بسبب الفشل في حرب لبنان ٢٠٠٦م، ثم إن التحالف الذي يترأسه به "ليبرمان" الذي يريد فقط دولة يهودية خالصة بمعنى طرد عرب ١٩٤٨م من الكيان الصهيوني وإلحاقهم بغزة أو الضفة، وكذا فإن وزيرة الخارجية الإسرائيلية "تسيبي ليفني" هي في الأصل ليكودية ومن ثم فهي تسعى لخلافة "أولمرت" على قاعدة التشدد وليس العكس، ووزير الدفاع "إيهود باراك" ليكودي في الأصل على حد تعبير "جهاد الخازن" في جريدة الحياة ٢٠٠٧/١١/٢٤ ضل طريقه إلى العمل لأنه لم يجد مكاناً في الليكود. "إيهود أولمرت" نفسه ومع كل وزاراته يريدون اعترافاً فلسطينياً بأن إسرائيل دولة لليهود، وهذا يعني عدم عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى

ديارهم، وكذلك التنازل عن الحق التاريخي لهؤلاء اللاجئين وهذا مستحيل، لأنه لا يحق لـ"محمود عباس" ولا منظمة التحرير، ولا كل هذا الجيل من الفلسطينيين التنازل عن حق الأجيال القادمة في العودة إلى وطنهم، بل القبول ضمناً بإخراج عرب ١٩٤٨ الذين دفعوا ثمناً مماثلاً من أجل صمودهم في تلك الأرض، من سمتهم ومصالحهم وأمانهم الشخصي والعائلي!!.

والسيد "محمود عباس" من جهته لا يمكنه الادعاء بأنه يمثل الشعب الفلسطيني كله، لأن هناك حماس قد تم انتخابها ديمقراطياً، فهي تمثل الشعب الفلسطيني أكثر من فتح، وفي الواقع العملي فهي تسيطر على غزة، وكذا فإن "محمود عباس" داخل فتح وداخل السلطة ليس محل إجماع، وهو كذلك يدرك أن أي وعود قد تم قطعها لن يتم تنفيذها لأن إسرائيل بأي حكومة لن تتورع عن التملص من القرارات المطاطة بدعوى البدء أولاً بالقضاء على الإرهاب وحماس وهو أمر حتى لو أراده "عباس" فهو خارج نطاق قدراته النظرية والعملية.

وهكذا فإن مؤتمر "أنابوليس" الذي تدحرج من مؤتمر للسلام بمعنى البدء في مفاوضات جادة حول القضايا الجوهرية والوصول فيها إلى صيغة يتم تنفيذها وفقاً لجدول زمني معين إلى مجرد مؤتمر سياسي عام يضم وفوداً من عدد كبير من الدول لدرجة أن الدول العربية تمثلت بوزراء خارجية أو أقل، الأمر الذي يعني إحساساً عاماً بين تلك الدول بأن الأمر لا يستحق، ومن ثم فإن المؤتمر ليس إلا مجرد علاقات عامة لا أكثر ولا أقل.

أما إذا جئنا للجانب الآخر من الموضوع فإن قرارات المؤتمر المتحدثة عن ضرورة التفاوض وقيام دولة فلسطينية في النهاية ربطت ذلك بعدد من الألغام والظروف التي تجعل تحقيق ذلك شبه مستحيل، رغم

أنه في حد ذاته لا يلبي الطموح الفلسطيني ولا العربي، ناهيك عن طموح القوى الراديكالية التي تريد تحرير كامل التراب الفلسطيني. وهل كان الأمر مثلاً يحتاج إلى مؤتمر للسلام تُدعى إليه ٤٧ دولة لمجرد إطلاق الدعوة لبدء مفاوضات لا نعلم متى تنتهي - فضلاً عن أن تبدأ - بين الفلسطينيين والإسرائيليين؟!، فالمفاوضات مستمرة منذ "أوسلو"، أي منذ ١٥ عاماً على الأقل دون أن تحقق أي جديد أو أي اتفاق حقيقي، ثم إن الإشارة إلى خارطة الطريق تعني مباشرة الطريق إلى جهنم لأنها تربط التقدم في أي ملف بالقضاء على الإرهاب، أي مزيد من الصراع بين السلطة الفلسطينية وحماس، أو بين السلطة وكل القوى الفلسطينية الأخرى.

ربما كان الفلسطينيون ومعهم العرب قد ذهبوا فقط إلى "أنابوليس" لعدم إغضاب أمريكا، أو لتحرير أي قدر من الأسرى مع أن إسرائيل تأسر المزيد كل يوم، أي تخرج عدة مئات وتعتقل عدة آلاف في كل مرة وتزعم أنها قدمت تنازلات.

جانب المؤامرة في الموضوع أن أمريكا وإسرائيل قد استدرجت الدول العربية الرافضة للتطبيع الرسمي إلى نوع من الاعتراف بإسرائيل بالحضور مع ممثلي إسرائيل تحت سقف مؤتمر واحد، وجعل الهدف من المؤتمر هو إطلاق مفاوضات وليس اعتبار قضايا مثل القدس واللاجئين والمستوطنات والدولة الفلسطينية والحدود هي القضايا الجوهرية، بل طمس معالم هذه القضايا تماماً، وخاصة قضية اللاجئين، بل ربما البدء في هجوم إسرائيلي مضاد بهدف إنهاء ملف اللاجئين الفلسطينيين من ناحية وطرد عرب ١٩٤٨م من ناحية ثانية. وهو أمر بشع وفظيع لم يكن يليق بفلسطينيين وعرب أن يُستدرجوا إليه.

الأمريكيون والإسرائيليون والميديا التابعة لهما سيتحدثون عن نجاح

المؤتمر؛ لأن النجاح بالنسبة لهم هو مجرد إطلاق المفاوضات، وطمس القضايا العربية الجوهرية، وتحقيق علاقات عامة جيدة لـ"جورج بوش" و"إيهود أولمرت"، وسوف يتحدثون عن أن المؤتمر بداية وليس نهاية.

إذن ما جدوى المؤتمر أصلاً بالنسبة للعرب والفلسطينيين؟، وهؤلاء العرب والفلسطينيين الذين شاركوا في المؤتمر سوف يبتلعون بوعي تام هذا الكلام حتى لا يظهروا بمظهر المغلوب على أمره أو الساذج الذي تم استدراجه إلى فخ، وسوف يتحدثون عن أمجادهم الخطابية في المؤتمر، فقد قالوا وقالوا، دون أن يعترفوا بأنهم أصلاً لم يفعلوا شيئاً، ولم يأخذ أحد أقوالهم على محمل الجد، وانتهى الأمر بمزيد من الوعود الضبابية والكلمات والجمل المطاطة، ومزيد من الإحباط للشعوب والجماهير، فلا أمل قريب في العودة للاجئين، ولا وقف لبناء المستوطنات، ولا موقف ضد العدوان الإسرائيلي المستمر على الشعب الفلسطيني، ولا حتى تحسين ظروف الأهالي في غزة بالنسبة للحصار والكهرباء، ولا حتى إزالة الحواجز ونقاط التفتيش الإسرائيلية التي تمزق مناطق الضفة الغربية، ولا حتى اعتراف صريح بأنه لا أمل من أمريكا وإسرائيل، ولكن هذه النتيجة الأخيرة - أي أنه لا أمل من المفاوضات مع أمريكا وإسرائيل - هي قناعة الجماهير العربية والإسلامية.

* * * * *

مؤتمر أنابوليس

الخداع التكتيكي والفشل الاستراتيجي

الآن بعد انقشع الغبار، وانتهى ما يسمى بمؤتمر السلام في أنابوليس تلك المدينة الأمريكية التي ارتبطت تاريخياً بحل الأزمات، يمكننا أن نعرف بسهولة لماذا انعقد المؤتمر أصلاً، ولماذا أصر الأمريكيون والإسرائيليون على عقده في موعده، رغم أن كل المؤشرات كانت تقود إلى نوع من الفشل المتوقع....

الأمريكيون مغرمون بالرموز، وقد اختاروا مدينة أنابوليس التابعة لولاية ميريلاند الأمريكية والتي تبعد عن واشنطن حوالي ٥٠ كيلومتراً وهي المدينة التي ارتبط اسمها بتحقيق الوحدة بين الولايات المتحدة الأمريكية، وكانت وقتذاك في نهاية القرن الثامن عشر ثلاثة عشرة ولاية متنازعة فيما بينها، واجتمع قادتها في أنابوليس وظهرت الولايات المتحدة الأمريكية إلى الوجود، ومدينة أنابوليس رمز للأكاديمية البحرية الأمريكية وكانت مركزاً لتجارة الرقيق، وقد أسسها الحاكم الملكي البريطاني " فرانسيس نيكلسون " عام ١٨٠٧ إبان الاحتلال البريطاني لأمريكا، وأطلق عليها هذا الاسم تيمناً بالأميرة البريطانية " آن " والتي أصبحت فيما بعد ملكة لبريطانيا، ويطلق على هذه المدينة أيضاً " أثينا أمريكا "، رمزية أنابوليس التاريخية تجعل المرء يفكر كثيراً قبل أن يصدر حكماً بفشل أو نجاح المؤتمر بالنسبة للأمريكيين، فهم كانوا يعرفون قطعاً أن ٧٠ ساعة من المفاوضات بين أبي مازن وأولمرت لم تصل إلى شيء، وسبع سنوات من الجمود قبلها، وكذا فإن عباس لا يمثل إلا نصف شعبه بالكاد، وأولمرت مكبل بتحالف حكومي فيه ليبرمان وباراك، ولا يستطيع أن يقدم شيئاً حقيقياً، خاصة أن الكنيست الإسرائيلي كان قد اتخذ قراراً ملزماً بألا يتم أي انسحاب من القدس الشرقية إلا بموافقة ثلثي أعضاء الكنيست الإسرائيلي، وهذا مستحيل عملياً في الحاضر والمستقبل، لأن

التركيبة السياسية الإسرائيلية لا يمكن توقع تغييرها تغييراً جذرياً في غضون عشرات السنين فما بالك بسنوات معدودة أو حتى سنة واحدة، ووزيرة الخارجية الأمريكية " كونداليزا رايس " حاولت دفع كل من أولمرت وأبي مازن إلى نوع من الاتفاق دون جدوى، وأقصى ما وصلت إليه هو نوع من الإعلان المشترك ليس به أي شيء جدي أو تناول لأي قضايا جوهرية، بل هو نوع من الكلام العام الذي لا يسمن ولا يغني من جوع حول الحد من إراقة الدماء والسعي للسلام وإطلاق مفاوضات... الخ "، وهذا الإعلان كان يمكن أن يتم بين أي متنازعين في أي مكان من العالم حتى لو كان النزاع على مائة دولار مثلاً!!. وصحيح أنه تم إعلان هذا الاتفاق المشترك قبيل عقد المؤتمر بلحظات وأعلنه الرئيس بوش بنفسه إلا أن أحداً لم يعتبر هذا اتفاقاً، والغريب أن الدوائر الإعلامية المرتبطة بالمؤتمر أطلقت عليه اسم " وثيقة اتفاق ". فالمؤتمر إذن بحكم الواقع كان فاشلاً سلفاً، وكان من المعروف أنه سيتحول إلى نوع من المكلمة " إطلاق حكمات والاستماع إليها والتصفيق عقب انتهائها " لكل من يريد أن يتكلم، وهكذا سمح لأبي مازن أن يقول ما شاء، وأن يشدد على عدم التنازل وهذا حسن أياً كانت الأحوال، شريطة أن يستمر في هذا الموقف المعلن فيما بعد. لماذا حرص الأمريكيون والإسرائيليون على عقد المؤتمر رغم ذلك.. هذا يكشف جانب الخداع في الموضوع ويكشف الهدف الحقيقي للمؤتمر... فالأمريكيون استدعوا رئيس السلطة، واستدعوا زعماء ١٦ دولة عربية وممثلي ٤٠ دولة وعدد آخر من الهيئات الدولية المهمة كالأمم المتحدة وجامعة الدول العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي، والرباعية الدولية والاتحاد الأوروبي... الخ لكي يتم إعلان خطير وهام وهو أن إسرائيل دولة اليهود، وأنها دولة عبرية، بل واعتبار ما يسمى بوثيقة بوش أو وعد بوش بأن إسرائيل دولة عبرية لليهود فقط أحد المرجعيات مثل خريطة الطريق والقرارات الدولية ذات الصلة التي يتم على أساسها التفاوض هذا هو الهدف الحقيقي

للمؤتمر، ولذا فإن الأمريكيين عندما اختاروا أنابوليس لعقد المؤتمر وهي ذات التاريخ المرتبط بحل الأزمات لم يكونوا غافلين عن ذلك، وأن المؤتمر بالنسبة لهم ناجح وحقق أهدافه ومن ثم فلا حديث عن فشل لأول مرة لإحدى المؤتمرات في أنابوليس.

بالطبع هذا نوع من الخداع فعله الأمريكيون بالعرب بالاتفاق مع الإسرائيليين طبعاً، أما الكلام عن إطلاق مفاوضات وحل الدولتين، وأن يكون لذلك سقف زمني فهو كلام بلا رصيد، فالمعروف أن إسرائيل تمتلك موهبة إضاعة الوقت في المفاوضات وإثارة المشاكل الفرعية ثم التذرع بأن الطرف الآخر هو الذي تسبب في الفشل مثلاً يمكن التذرع بأن السلطة الفلسطينية لم تقض على الإرهاب ولم تفكك البنية التحتية للعنف، وبديهي أن السلة الفلسطينية لا تستطيع أن تفعل ذلك حتى لو حاولت، والمحصلة هي أن يتم إطلاق المزيد من الصراع بين حماس وفتح، السلطة والقوى المناهضة للتنازلات مثل حماس والجهاد أو حتى الجبهة الشعبية.

ما يؤكد ذلك أن الرئيس بوش شخصياً في خطابه أمام المؤتمر كان واضحاً لمن يريد أن يفهم، فهو لا يريد إزالة المستوطنات مثلاً، بل إزالة المستوطنات غير المرخصة أي مجرد إزالة ما تقيمه إسرائيل لتزيله أصلاً في نوع من الدعاية الفجة، وهذا يعني الاعتراف بالمستوطنات القائمة مثلاً، وهو أيضاً تعهد بأن تكون إسرائيل آمنة ودولة عبرية ووطن للشعب اليهودي وأن الدولة الفلسطينية إذا قامت يجب أن تكون أداة للقضاء على الإرهاب وأن تفكك البنية التحتية للإرهاب المسألة واضحة لا لبس فيها ولا غموض، لن أتطرق إلى ما قاله المندوبون العرب أو حتى رئيس الوزراء الإسرائيلي ايهود أولمرت أو غيرهم من المتحدثين، فهذا نوع من المكلمة لم يكن المؤتمر يستهدفها أصلاً وإن سمح بها لأسباب بروتوكولية، المؤتمر فقط، كان دعوة أمريكية للجميع بأن يأتوا إلى الولايات المتحدة الأمريكية

ليستمعوا إلى تأكيد الرئيس الأمريكي قبل أن يغادر البيت الأبيض بأن أمريكا تؤكد تعهدها بأن إسرائيل دولة عبرية ووطن لليهود مع بعض البهارات حول إطلاق المفاوضات وسقف زمني وحل الدولتين وأمنيات للشعبين!!.

بالطبع فـ'ن أحداً من الأطراف - الأمريكي أو الإسرائيلي أو العربي أو الفلسطيني لا يملك أن يزعم أنه تم أي تقدم، والبعض عبر عن صدمته وخاصة من المسئولين الفلسطينيين، ولكنهم عللوا ذلك بأن الصدمة لا مبرر لها لأن الآمال حول المؤتمر كانت متوقعة، لا أحد يزعم إذن أن القضايا الجوهرية وهي اللاجئين والقدس والحدود والمستوطنات والمياه قد حدث بها شيء، بل هناك تراجع على مستوى أهم تلك القضايا وهي قضية اللاجئين لأن تأكيد وعد بوش بإسرائيل عبرية ودولة قومية لليهود ينسف فكرة عودة اللاجئين أو مجرد التطرق إلى ذلك وربما يقود حتى إلى نوع من محاولة طرد عرب ١٩٤٨ الذين لا يزالون يقيمون داخل إسرائيل، لأنه من الناحية النظرية فإن معنى أن تكون إسرائيل دولة عبرية ووطن قومي لليهود، أنه لا مكان فيها للعرب الفلسطينيين " مسلمين ومسيحيين ودروز "، وأن على هؤلاء أن يذهبوا إلى الدولة الفلسطينية على أجزاء من الضفة!! وهو حل شيطاني يريده الأمريكيون والإسرائيليون.

الغريب أكثر أن يوم انعقاد المؤتمر ٢٧ / ١١ /٢٠٠٧ كانت إسرائيل تقوم بقتل فلسطينيين " ٨ قتلى و٦ جرحى " وتقصف وتطلق الصواريخ على أراض فلسطينية، وتقتل وتأسر المزيد من الفلسطينيين، والغريب أيضاً أن العرب ذهبوا إلى المؤتمر دون أن يطلبوا من الولايات المتحدة مثلاً وقف بناء الجدار العازل، أو إزالة الحواجز التي تمزق أحشاء الضفة الغربية أو إطلاق سراح الأسرى الفلسطينيين في السجون الصهيونية، وهي أمور بديهية إذا كانت هناك نية حقيقية للسلام.

* * *

على أنه رغم هذا الخداع الأمريكي الإسرائيلي، فإن مكر اليهود والأمريكان سيظل محدوداً وتكتيكياً إن شاء الله، " ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ". فعقد المؤتمر وانفضاضه أحدث نوع من الصدمة للجماهير العربية والإسلامية، وأضاف المزيد من الغضب إلى القلوب، وأثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن طريق المؤتمرات والمفاوضات والسلام هو طريق الخداع الواضح والمستمر، ومن ثم فإن هذا يدعم فكرة ضرورة الكفاح المسلح ضد إسرائيل باعتباره الطريق الوحيد المتاح أمامنا وهذا أعطى دفعة لتلك الفكرة وأعطاها قوة في الشارع بل وكشف الغطاء تماماً عن كل الدعوات والشخصيات والرموز والحركات المزيفة التي تمسك العصا من الوسط أو لا تزال تبحث عن السلام في واشنطن أو تل أبيب. وهي أمور ستنقلب إلى مارد جبار سوف يقتلع إسرائيل بإذن الله. ولو قام دعاة الكفاح المسلح ببذل مجهود جبار لإقناع الجماهير بصحة طريقهم لما أحدثوا من الأثر مثلما أحدثه هذا المؤتمر، وهذا فشل استراتيجي للولايات المتحدة وأمريكا.

على الجانب الآخر فإن المؤتمر كان فرصة لاستعادة تأكيد المواقف وتنشيط النضال، فالجماهير خرجت في غزة والضفة لتعبر عن رفضها وغيظها لهذا المؤتمر، واستعادت حماس لفتها الصحيحة حول ضرورة تحرير كامل التراب الفلسطيني من النهر إلى البحر ومن الجنوب إلى الجنوب، بل وأقسم أعضاء البرلمان الفلسطيني من حماس على ذلك وقام إسماعيل هنية رئيس الوزراء التابع لحماس مع أعضاء البرلمان من حماس بتوقيع وثيقة نشرت في الصحف والفضائيات تقول " نعاهد الله ألا نقبل أي حل للقضية الفلسطينية لا يضمن تحرير الأرض والمقدسات وعودة اللاجئين إلى ديارهم وبيوتهم التي شردوا منها بعد عام ١٩٤٨، وألا نساوم على أي جزء من مدينة القدس بجميع أرضها وعقاراتها ومسجدها الأقصى ومعالمها وآثارها ومقدساتها الإسلامية والمسيحية، والله على ما نقول شهيد ".

هذا على مستوى حماس المشاركة في الحكومة، وهو لا بأس به، شريطة عدم الحنث في هذا القسم تحت أي ظرف فيما بعد، أما حماس في إطار التعاون مع القوى الأخرى، فقد أصدرت مع حركة الجهاد الإسلامي الفلسطيني بياناً أكثر وضوحاً قالتا فيه " أن أرض فلسطين من نهر الأردن شرقاً وحتى البحر المتوسط غرباً، ومن الحدود السورية واللبنانية شمالاً حتى الحدود المصرية جنوباً لا يمكن التفريط في أي شيء منها، وأن من يتنازل عن حق العودة للاجئين فهو خائن ".

نعم أنابوليس مؤامرة وخداع، ولكنها أذكت في الجماهير روح المقاومة وجعلت قوى المقاومة مثل حماس والجهاد تؤكدان على الثوابت، وهو أمر هام جداً أمام الجماهير والمصداقية والتاريخ خاصة بالنسبة لحماس. وربما كانت هذه هي الإيجابية الوحيدة لمثل هذا المؤتمر المشئوم.

* * * * *

obeikandl.com

ما بعد الانسحاب الأمريكي من العراق؟

لا شك أن الانسحاب الأمريكي من العراق ستكون له تداعيات إستراتيجية وتكتيكية واسعة النطاق على المستوى الدولي والإقليمي والمحلي. ومن ثم فإن من الضروري رسم سيناريوهات ما بعد هذا الانسحاب، والموقف الصحيح في تلك الحالة بالنسبة لأمتنا، وقوانا الذاتية: الشعبية والرسمية، ومن الضروري أن ندرك أن عدم الاستقرار على مستوى التخطيط والحركة لهذا اليوم هو خلل كبير وإهدار لفرصة تاريخية.

الانسحاب الأمريكي من العراق بات حقيقة مؤكدة، قد يستغرق بعض الوقت، ولكنه سيتم في النهاية. ومن الناحية العسكرية: فإن الهزيمة الأمريكية في العراق باتت مؤكدة. ومن الناحية السياسية: فإن الأمر أصبح محسومًا تمامًا على مستوى الداخل الأمريكي سواء بالنسبة للحزب الديمقراطي أو الحزب الجمهوري أو حتى إدارة الرئيس بوش نفسه.

بداية فإنه من الناحية التكتيكية يجب على المقاومة العراقية الباسلة، التي حققت النصر على الجانب الأمريكي، وألحقت بآلة الحرب الأمريكية هزيمة تاريخية، وكذا ألحقت الهزيمة على المستوى السياسي بالحكومة الأمريكية، وأنهت من الناحية العملية مستقبل (المحافظون الجدد) في أمريكا. هذه المقاومة يجب ألا تترك فرصة الانسحاب الأمريكي من العراق تمر بهدوء يجب أن تستعد منذ الآن لإلحاق أكبر قدر من المهانة والخسائر بالجانب الأمريكي؛ فالجيش الأمريكي حين يبدأ الانسحاب من العراق سيكون في حالة نفسية ومادية سيئة للغاية وهذه فرصة سانحة لإلحاق العار بهذا الجيش الأمريكي المعتدي، يجب ألا تمر فرصة الانسحاب بهدوء وبدون تكاليف باهظة؛ فهناك حجم هائل من المعدات

والجنود والعتاد العسكري ينبغي على الجيش الأمريكي تأمين سحبه من العراق، فهناك قطع عسكرية أمريكية ضخمة ستقوم القوات الأمريكية بسحبها - حوالي ٣٢٨٢ شاحنة ثقيلة، ٩١٢ شاحنة جر ثقيلة، ٣٦٦ دبابة إبرا مز، ٦٧٩ عربة مدرعة من طراز برادلي، ٢٤ ألف عربة من طراز هامفي، ١٦٠ ألف جندي من القوات البرية ومعداتهم، ومن الصعب - طبعًا - ترك هذه المعدات للعراقيين؛ لأن بها أجهزة وأسرار لا يمكن تركها لمعرفة الآخرين، الروس أو الإيرانيين أو غيرهما، اللذين لن يجدا صعوبة في الحصول على تلك الأسرار من القوات العراقية. بالإضافة إلى ذلك فإن عملية السحب ربما تتسبب في فجوة بين القوات المنسحبة أولا والقوات الباقية مما يعطي فرصة للمقاومة لإنزال قدر هائل من الخسائر باستغلال تلك الفجوة بالطرف الأمريكي، يحوِّل عملية الانسحاب إلى فضيحة عسكرية أمريكية. ومن المعروف أن القطع العسكرية أثناء سحبها تصبح هدفًا سهلا للاصطياد دون أن تستطيع الرد بشكل كفء.

ومن ناحية ثانية فإن عملية الانسحاب تعني ترك كل المتعاونين المدنيين مع الجيش الأمريكي، وهؤلاء يصبحون هدفًا أسهل للمقاومة.

ومن الضروري ترتيب أوضاعهم، أو منحهم حق الهجرة ونقلهم إلى أمريكا أو بلاد أخرى، وهو أمر صعب جدًّا وبالغ التعقيد. ويرى وزير الدفاع الأمريكي روبرت جيتس أن عملية الانسحاب شديدة الصعوبة، ولا يمكن مقارنتها بعملية الانسحاب التي تمت عام ١٩٩١؛ حيث كانت الأمور هادئة ولم تكن هناك قوى مقاومة قادرة ومتربصة، مع وجود مطارات في ذلك الوقت جيدة التجهيز، لا يوجد مثلها في العراق، الأمر الذي يعني ضرورة التفاهم مع الكويت أو الأردن أو تركيا لسحب القوات عن طريقها.

سيناريوهات ما بعد الانسحاب؟

إذا تركنا الجوانب التكتيكية في عملية الانسحاب، فإن الآثار الإستراتيجية التي ترسمها مراكز الأبحاث المستقبلية عن آثار ذلك الانسحاب تتحدث عن عدد من السيناريوهات مثل أن تقوم دولة مثل إيران باستغلال الفرصة لملأ الفراغ خاصة مع وجود قوى تابعة لها في القطاع الشيعي والكردي، ومن ثم تحصد إيران مكاسب ضخمة لم تكن تحلم بها، وكأن القوات الأمريكية جاءت إلى العراق لتموت وتنفق المليارات من أجل تحقيق أهداف إيران. وتتحدث تلك المراكز عن إمكانية تدفق تركي أيضا لحماية التركمان من كردستان العراق.

وتطرح تلك المراكز سيناريوهات أخرى أكثر إزعاجًا للأمريكيين، وهي أن المقاومة العراقية - وهي سنية في معظمها، بل ولها أجندة عالمية وإقليمية وليس عراقية فقط - يمكن أن تحقق نصرًا سريعًا على الميليشيات الشيعية وتسيطر، من ثم، على كل العراق وتقيم جمهورية إسلامية راديكالية تصبح قاعدة لمطاردة النفوذ الأمريكي والوجود الإسرائيلي في المنطقة. هذا أمر ممكن جدًا؛ لأن تلك المقاومة - التي نجحت في الصمود أمام ١٦٠ ألف جندي أمريكي، و ٤٠ ألف جندي غربي، وأيضًا الجيش والشرطة العراقيين والميليشيات الموالية للاحتلال أو لإيران - يمكنها إنزال الهزيمة بالجيش والشرطة والميليشيات بسهولة؛ لأن مَن هزم الجيش الأمريكي وأذنابه قادر على هزيمة الأذناب بعد انسحاب الجيش الأمريكي. وفي أقل الأحوال فإن هؤلاء قادرون على السيطرة على الثلث السني، وتحويله إلى قاعدة للإرهاب العالمي ضد أمريكا وإسرائيل.

السيناريو الأقل سوءًا بالنسبة لأمريكا هو أن تتفق مجموعة الدول المحيطة على دعم حكومة المالكي أو غيرها، والحيلولة دون سيطرة المقاومة على العراق، ولكنه سيناريو محفوف بالمحاذير؛ لأن الأطراف هنا لا تثق في بعضها البعض أولاً، وغير قادرة على تحمل المسئولية

ثانيًا. وعلى سبيل المثال فهل تستبدل دول الخليج بالنفوذ الأمريكي النفوذ الشيعي مثلاً وهو يمثل خطرًا لا يقل عن الخطر الأمريكي.

الولايات المتحدة تسعى للحصول على تأييد خليجي لحكومة المالكي لهذا السبب وتضغط بقوة في هذا الاتجاه، ولكن دول الخليج ترد بأن حكومة المالكي عميلة للإيرانيين!!.

السيناريو الأخير في هذا الصدد هو تحول العراق إلى فوضى شاملة بحيث تتحول إلى مناطق مفرزة لعشرات الجماعات التابعة للقاعدة أو غير القاعدة أو للبعث أو للمليشيات الكردية والشيعية بحيث تتمزق العراق إلى ٣٠ أو ٤٠ كانتون ويستحيل إقامة دولة من أي نوع، وهذا أيضًا سيحوِّلها إلى مرتع لكل جماعات وعناصر الإرهاب من كل الأطياف وهو أمر شديد الإزعاج لأمريكا أيضا.

إذا كانت المقاومة العراقية حقًّا تمتلك رؤية مستقبلية فإن من الممكن جدًّا أن تستغل حالة الإحساس العام لدى الناس بأن الأمريكان أضعف من أن يفرضوا إرادتهم على أحد، وأن مصداقيتهم الدولية والإقليمية وثقة حلفائهم فيهم باتت ضعيفة، ومن ثم وضع خطة للاستفادة من هذا الإحساس لدى الناس في اتجاه إنهاء كل المشروع الصهيوني الأمريكي في المنطقة.

* * * * *

obeikandl.com

تصريحات عصام العريان واقعية أم انتكاس

عندما يصرح الدكتور عصام العريان - وهو رئيس المكتب السياسي للإخوان المسلمين وأحد أبرز وأهم قياداتها - لصحيفة الحياة اللندنية بأن حزب الإخوان المسلمين - وليس الجماعة - مستعد للاعتراف بإسرائيل واحترام المعاهدات الموقعة معها فور الوصول إلى الحكم، فإن ذلك يعني الكثير على مستوى الحزب ومستوى الجماعة ومستوى مستقبل العمل السياسي في مصر.

حزب الإخوان المسلمين - وهو حزب لم يتم الموافقة عليه بعد، ومن المتوقع ألا تتم الموافقة عليه أصلاً، رغم نشر برنامجه - لا يجب التعامل معه بداهة بمعزل عن الجماعة، وكذلك لا يجب التعامل مع عصام العريان تحديدًا على أنه صاحب رأي شخصي لا علاقة له بالجماعة؛ فالصحيح أن حزب الإخوان المسلمين لا يمكن أن يكون منفصلاً عن تلك الجماعة، فالحزب أولاً يستمدّ قوته من الجماعة، ويصبح حزبًا بلا قيمة إذا انفصل عنها، ولدينا تجربة حزب الوسط مثلاً. وكذلك فإن الدكتور عصام العريان لا يمكن بداهة أن يصرح تصريحات تعبر عنه شخصيًّا أو بدون صلة بالجماعة، وإلا كان من المفروض أن يتم فصله من الجماعة فورًا مع مثل هذه التصريحات التي تدخل في المستوى الاستراتيجي بجدارة، من ناحية أخرى فإن الدكتور عصام العريان شخصيًّا عنصر له قيمة كبيرة ورمزية واضحة داخل الإخوان، وكلامه لا يمكن أخذه أنه نوع من الخطأ اللفظي؛ لأن الدكتور عصام العريان شخص محنَّك ومدرَّب على التصريحات والحوارات وليس غِرًّا بالطبع، أما الحديث عن وجود صراع أجيال داخل الجماعة فهو تفسير أسوأ من الأصل؛ لأن معنى ذلك أننا بصدد جيل جديد مرشَّح بحكم الزمن للتحكم في أمور الجماعة ويتخلَّى مباشرة عن ثوابت الجماعة، بل ثوابت الوجدان الشعبي المصري. أما الحديث عن وجود أجنحة داخل الجماعة فهو أمر أخطر؛ لأن وصول مستوى الخلاف بين أجنحة الجماعة - إن وُجِدت - إلى ثوابتها له أثر خطير جدًّا.

الحديث إذن انتكاس خطير في مسيرة الجماعة، ولا يمكن حسابه على الواقعية أو البرجماتية الإخوانية المعروفة، فالواقعية والبرجماتية لا تكون في ثوابت الجماعة، بل في أهم ثوابت الجماعة؛ لأن تلك الجماعة تحديدًا لا تمتلك من عناصر البقاء والاستمرار والرضا الشعبي إلا الموضوع الفلسطيني الذي عاشت عليه بدءًا من مشاركتها في القتال ضد إسرائيل عام ١٩٤٨ إلى بطولات حماس، بل إن ذلك الأمر هو الرائعة الحقيقية للجماعة، والتخلي عن هذه الرائعة يعني مباشرة خروج الجماعة من التاريخ والجغرافيا مهما كانت قوتها وقوة عناصرها.

وإذا كانت الجماعة تتصور أنها البديل الوحيد للنظام المصري الذي يعيش في خريفه، وأن الشارع المصري ليس به قوى سياسية أو حزبية أخرى في حجم الجماعة أو حتى يقترب منها، فإن ذلك صحيح جدًا، ولكن الشعبية والقوة لأي جماعة ترتبط بمواقفها السياسية وثوابتها أولاً وأخيرًا، وكم من جماعة كبرى خرجت من التاريخ والجغرافيا رغم شعبيتها الجارفة بسبب خطأ استراتيجي متعلق بالثوابت مثلاً.

الحديث إذن عن أن هذا التصريح نوع من تطمين أمريكا وإسرائيل وأوروبا بأن الجماعة ليست خطرًا مباشرًا عليها، ومن ثم فإن المفروض ألا تمانع هذه الدول والقوى في وصول الجماعة إلى السلطة - هو نوع من الحساب الخطأ في الوقت الخطأ؛ فلن ترضى هذه الدول والقوى عن الإخوان حتى ولو غسلت ثوبها الوطني والإسلامي سبع مرات إحداهن بالتراب، وكذلك فإن إرضاء هؤلاء على حساب الثوابت هو مخالفة للشرع الحنيف، ومخالفة للوجدان الوطني، وهذا أمر لو كان صحيحًا لكنا أمام جماعة برجماتية أخرجت الحساب الإلهي من معادلاتها، وهذا أسوأ ما في الموضوع، فتحقيق أي هدف فضلاً عن الوصول للسلطة له حساباته الواقعية، ولكنه مرتبط أيضًا بقدر الله تعالى حسب المفاهيم الإسلامية، ومادمنا مسلمين فلا يمكن إخراج العنصر العيني والقدري من الموضوع وإلا كنا ماديِّين!!.

وفي الحقيقة فإن الدكتور العريان قد اعترف مرة أخرى بالكلام المنشور في

صحيفة الحياة عندما قال لموقع "إسلام أون لاين" الإلكتروني أنه يتوجب الفصل بين موقف الحزب من إسرائيل وموقف الجماعة منها، فهذا كلام فيه نوع من الاعتراف والتأكيد، كما أنه تبرز فيه استخفاف بالعقول بالنسبة لمن يعرف الجماعة جيدًا ويعرف عصام العريان جيدًا. أما أن يقول عصام العريان بأن أي حزب سياسي آخر ماذا يفعل مع إسرائيل إذا وصل إلى السلطة؟ فهذا أمر فيه استخفاف آخر بالعقول يتناقض مع مواقف حماس مع فتح مثلاً، وبديهي أن هناك فرقًا كبيرًا بين جماعة تستلهم الإسلام والقومية والوطنية وجماعة أخرى تخرج إحدى هذه الثوابت من حساباتها، وإلا فلماذا يؤيد الناس الإخوان المسلمين ولا يؤيدون الأحزاب والقوى الأخرى.

حديث عصام العريان وتبريراته كلها من النوع الخطير، فأن يقول إنه سيتعامل مع إسرائيل بواقعية سياسية يعني أن الإخوان مخطئون عندما عارضو النظام المصري في تلك النقطة؛ لأن النظام المصري نفسه يقول: إن ذلك متعلق بنوع من الواقعية السياسية أيضًا.

أعتقد أن الدكتور عصام العريان أخطأ خطأ فادحًا حين قدم اعترافًا مجانيًا بإسرائيل لا مبرّر له ولا ضرورة، اللهم إلا إذا كان إرضاء أمريكا وإسرائيل أهم من كل ثوابت الجماعة.

أما قول الأستاذ المرشد محمد مهدي عاكف من أن الإخوان في أغلبيتهم الساحقة رفضت واستنكرت تصريحات العريان وأجبرته على التراجع، فينقصه أن تلك الأغلبية الساحقة لم تفصل العريان من الجماعة، أو حتى إقالته من منصب رئيس المكتب السياسي للجماعة، وكذلك فإن تكرار أمثال هذه الأمور كافة فيما يتعلق بالحوار مع أمريكا أو مغازلة إسرائيل جعلنا نفقد الثقة في الكثير من تصريحات الجماعة التي تحاول علاج الخطأ، وأن نعتقد أنه خطأ مقصود، بمعنى إرسال الرسالة إلى الخارج ثم خداع الداخل لا أكثر ولا أقل في توزيع ضعيف للأدوار ولا ينطلي على أحد.

* * * * *

مطالب قبطية

من فوق منصة البيت الأبيض!!

المؤتمر القبطى العالمى "القضية القبطية - معالجة جديدة - الواقع والآليات" الذى انعقد مؤخراً بالولايات المتحدة الأمريكية فى الفترة من ٢٠ - ٢١ أكتوبر ٢٠٠٧ برعاية التجمع القبطى الأمريكى بشيكاغو، ليس المؤتمر القبطى الأول من نوعه بالطبع، فهذا المؤتمر امتداد لسلسلة مؤتمرات عقدت فى الولايات المتحدة الأمريكية، الا ان هذا المؤتمر اختلف عن سابقيه فى عدة عناصر، اولها الابتعاد عن مشاكل الأقليات الاخرى مثل النوبة - الشيعة - البهائيين فى مصر، واقتصر فقط على الأقباط أو المشكلة القبطية، وإن كان قد حاول دعوة عدد من الشخصيات المسلمة الأعضاء بالذات فى الحزب الوطنى المصرى الحاكم إلا انهم رفضوا الحضور لأسباب تتعلق بآرائهم حول ضرورة مناقشة المشاكل القبطية داخل مصر!!

وثانيها: ان المؤتمر تبنى مطالب معينة أقل من سابقاتها، فلم يتحدث المؤتمر عن الاستعمار العربى مثلاً، أو تحرير مصر من المسلمين، أو اقامة دولة قبطية فى جنوب مصر.. الخ، ولكن جاءت قرارات المؤتمر فى اطار مطلبى حول عدد من القضايا التى يرى المؤتمر أنها تشكل انتقاصا للحقوق القبطية فى مصر، الا انها بالطبع اعتمدت على مجموعة من الافتراءات وكرست فى الوقت نفسه التقسيم الطائفى فى مصر وهو ما يضر حتما بالوحدة الوطنية، ويدفع البلاد فى اتجاه الانقسام وليس الاندماج الطائفي.

ويمكن ان نقول: ان المؤتمر كان نوعاً من المطالب القبطية من فوق منصة البيت الأبيض أو استخدام الضغط الخارجى لتحقيق مطالب طائفية وهو أمر

ترفضه بالطبع الجماعة الوطنية المصرية اسلامية ومسيحية.

دارت مطالب المؤتمر حول ما يلي:

- إلغاء قرارات الخط الهمايونى المتصل ببناء الكنائس وإصلاحها ونسى هؤلاء أن الأقباط لهم كنائس أكثر من المساجد بالنسبة إلى تعدادهم "حوالى ٦ بالمائة من سكان مصر" وأنهم شيدوا فى الفترة الأخيرة عددا هائلا من الكنائس دون تفعيل أو تنفيذ هذا القانون الهمايوني!!
- بث البرامج الدينية الخاصة بهم من خلال وسائل الإعلام الحكومية خاصة التليفزيون المصري، وينسى هؤلاء أن أحدا لم يعد يرى التليفزيون المصري، فقد أصبحت الفضائيات هى الأصل فى المنزل المصري، ومعروف أن للأقباط ثلاث قنوات فضائية على الأقل لا يمتلك مثلها المسلمون، كما أن البابا شنودة شخصياً يكتب مقالا أسبوعيا فى جريدة الأهرام المصرية ناهيك عن الكتابات القبطية الأخرى فى الصحف الحكومية.
- إعادة أراضى الأوقاف المسيحية التى تسيطر عليها وزارة الأوقاف المصرية وينسى هؤلاء أن معظم تلك الأراضى قد عادت وان الكنيسة المصرية تسيطر على أراض شاسعة ومصالح اقتصادية ومشروعات هائلة فى حين أن أراضى الأوقاف الإسلامية لم يعد منها شئ للأزهر أو غيره.
- وضع نهاية لعمليات اختطاف واغتصاب الفتيات المسيحيات وهى فرية واضحة لا أصل لها فى الواقع إطلاقا!
- رفع خانة الديانة من بطاقة تحقيق الشخصية، وهو مطلب علمانى اكثر منه قبطي.
- مراجعة المناهج الدراسية.

- مطالبة وسائل الإعلام الحكومية بالكف عن وصف المسيحيين بالكفار، أى عمليا إلغاء البرامج الدينية الإسلامية والقرآنية.
- إنهاء التمييز ضد الأقباط، الصحيح أن هناك تمييزا لصالح الأقباط لأن مقدار ما يحصلون عليه من ثروة البلاد أضعاف قيمتهم العددية.
- تخصيص مقاعد للأقباط فى المجالس النيابية والوزارية، وهو مطلب طائفى يصل بنا إلى لعبة المحاصصة الطائفية على غرار العراق مثلاً مع ان هناك فارقا هائلا بين العراق ومصر فى هذا الصدد، حيث أن نسبة المسيحيين المصريين بمن فيهم الأقباط حوالى ٦ بالمائة ومن ثم فهو أمر ضد المصلحة القبطية فى كل الأحوال، فضلاً عن ان تنفيذ ذلك يعطى ريحا طائفية غير مرغوبة فى بلد مثل مصر.
- إحكام الرقابة على المساجد والتشديد على الأئمة بعدم تبنى خطاب دينى ضد الأقباط ومعاقبة الأئمة الذين يخالفون ذلك.. هل نتوقع أن يصل الأقباط يوما إلى حد كتابة خطب الجمعة والعيدين لأئمة المسلمين، ثم ماذا عن الخطاب الدينى داخل الكنائس ماذا يقول القساوسة عن مصير غير المسيحيين مثلاً فى الآخرة؟!
- الغاء المادة الثانية من الدستور والتى تنص على أن الشريعة الإسلامية هى المصدر الرئيسى للتشريع، وهو مطلب غريب يصل إلى حد التحكم فى مصادر التشريع للأغلبية رغم ان هذا النص غير مطبق بالكامل من ناحية، والأقباط يتمتعون باستقلال قانونى فى مسائل الأحوال الشخصية، وإثارة هذا المطلب ليست جديدة وكلها كانت تدعو إلى إبعاد الإسلام عن التشريع مع عدم إبعاد المسيحيين مثلاً!!

* * * * *

معركة نهر البارد..
وحكومة تمزق أنسجة نفسها

برغم أن كثيراً من التحليلات والتحليلات المضادة حاولت تفسير أبعاد وأسباب المعركة الدائرة في مخيم نهر البارد بين الجيش اللبناني وجماعة فتح الإسلام ، والمستمرة عدة أسابيع إلا أن أحداً لم يلتفت إلى جزء مهم في الموضوع وهو نظرية المؤامرة.

- بداية فإن الذين قالوا إن جماعة فتح الإسلام هي صناعة سورية نسوا شيئا مهما وهي أن أحدا لا يموت من أجل المخابرات عموما والمخابرات السورية خصوصاً، وبديهي أن المستوى القتالي والفدائية التي تقاتل بها عناصر فتح الإسلام لا تتفق مع هذا التحليل، فهم مقاتلون صابرون ، ولو كانوا صناعة سورية لانهاروا سريعا. أما كون سورية دعمتهم الآن أو قبل الآن فإن ذلك يمكن أن يكون صحيحا أو باطلا، ولكنه لا يغير طبيعة عناصر فتح الإسلام، وهي سلفية أصولية، أما الدعم السوري في هذا الإطار فهو نوع من خلط الأوراق في لبنان لأسباب تتعلق بالمحكمة الدولية أو غيرها من الملفات العالقة بين سوريا ولبنان.

- القول بأنها قاعدة قول حتى الآن لا يستند إلى دليل، ربما تكون هناك اتفاقات في التصورات بين فتح الإسلام والقاعدة ولكن هذا من باب وحدة المنطلقات وطريقة التفكير وليس العلاقة التنظيمية.

المهم في المسألة أن فتح الإسلام تتكون من السنة العرب عموما، وفيها فلسطينين أساسا وسعوديون وعراقيين.. إلخ، ولها قيادة تتمتع بنوع من الكاريزما، وهم من السلفين ومن ثم فإن من الطبيعي أن تكون فتح الإسلام هنا ذات جاذبية خاصة للسنة في لبنان، والنتيجية المتوقعة أن تصبح فتح الإسلام هي المعبر الحقيقي عن السنة اللبنانيين والفلسطينين، أي أنها توحد بين الطرفين، وتعطي

للسنة وزنا كبيرا في المعادلة اللبنانية، لأن الورقة الفلسطينية هي التي رجحت السنة في المعارك الأهلية اللبنانية عام ١٩٧٥م، وهذا يفسر سر تحامل قناة المنار على فتح الإسلام مثلاً رغم أن قيادة حزب الله ظهرت بمظهر المحايد وكأن قيادة حزب الله تريد أن تغسل يدها مقدما من ذبح فتح الإسلام ولكن الهوى الشيعي لقناة المنار فضح المسألة، وأظهر الموقف غير المستريح لشيعة لبنان تجاه فتح الإسلام.

فتح الإسلام يمكن أن تحقق للسنة نوعا من التوازن مع الشيعة في لبنان ومن الطبيعي والحالة هذه أن يرحب تيار الحريري بهم على الأقل نكاية في حزب الله، والمفروض أن يدعمهم وليس يقاتلهم، ولكن الخوف من أن يصبح هؤلاء قيادة بديلة لآل الحريري بالنسبة للسنه هو الذي جعل الحكومة اللبنانية تسارع بضربهم، وبديهي أن الجيش لا يتحرك بدون سقف سياسي، فهو جهة تنفذ في النهاية ما تقرره الحكومة، ومن ناحية الولايات المتحدة فإنها خافت من أن يتحول سنه لبنان إلى أصولية جديدة على غرار القاعدة، ومن ثم تصبح خطراً على المشروع الأمريكي بالكامل؟ والشيعة بداهة لم يرحبوا بفتح الإسلام لأن السلفية الأصولية في نظرهم هي أعدى الأعداء، وهكذا أتفق معظم الفرقاء على ضرورة تصفية فتح الإسلام.

وأعتقد أنه تمت مؤامرة كاملة في هذا الصدد، بمعنى تلفيق قضية سرقة البنك أو افتعالها أو استغلالها لتبرير تحرك الجيش اللبناني أو توريطه في المسألة ومن ثم تحقيق الهدف المتفق عليه بين تيار الحريري والأمريكان وإسرائيل وحزب الله والشيعة والدروز والموارنة من القضاء على "جنين" الأصولية السلفية اللبنانية الفلسطينية ولكن هيهات، فربما يكون ما حدث هو نوع من الولادة لذلك التيار باسم فتح الإسلام أو أي إسم آخر وتلك هي حكمة التاريخ.

* * * * *

هل تعود فتح إلى الطريق الصحيح بعد تقرير لجنة التحقيق؟

من المفترض أن ما حدث في غزة يمكن أن يكون بداية صحيحة لعودة فتح إلى الطريق القويم، على أساس أن الحقبة السابقة كانت حقبة دحلان ورجاله، حيث اعترفت قيادات كبيرة في فتح بأنه تم إسناد الأمور الأمنية في غزة إلى دحلان على طريقة المقاولة، وهو أمر بداهة لا يليق بفتح وتاريخها ورجالها خاصة أن ارتباطات دحلان بالدوائر الصهيونية والأمريكية والأوروبية معروف ومشهور، وكانت النتيجة كما رأينا أن دحلان إفتعل الصراع مع حماس وغير حماس، ومارس ورجاله البلطجة والإتاوات مما جعل سمعة فتح في غزة تتدنى ويشعر الناس بضرورة التخلص من الأجهزة القمعية والتي لم تصبح أمنية.. والمحصلة كانت خسارة فتح لغزة كلها وسيطرة حماس عليها، والتي لم تكن أصلا تريد ذلك، ولكن المدرسة الدحلانية دفعت حماس إلى هذا الطريق قسراً، ولم يكن هناك طريق آخر.

وشعر الناس في غزة لأول مرة بالأمان، بل ويمكننا أن نقول أن هذا الشعور بالأمان وانتهاء البلطجة والإتاوات سيجعل غزة أفضل اقتصاديا حتى مع الحصار الأمريكي / الصهيوني / الغربي / العربي عليها، بل إن المساعدات التي ستقدم للضفة كما تحدث الجميع ستذهب أصلاً إلى جيوب اللصوص فيحولونها إلى أرصدة في البنوك أو قصوراً وملاهي، أما أهل الضفة فلن ينالهم شيء، بعكس أهالي غزة الذين سيشعرون أنهم يقتسمون اللقمة وأن أكبر قيادات حماس "هنية مثلا" لا يتمايز عليهم في مأكل ولا في ملبس، وهذا أمر له مردوده النفسي الإيجابي، ومن ثم الاقتصادي والاجتماعي. والمحصلة أن الأوضاع الاقتصادية في غزة ربما ستكون أفضل من الضفة!!.

المفترض أن يكون ما حدث في غزة درساً لفتح، وقد أملنا خيراً أن الرئيس عباس قام بتشكيل لجنة تحقيق، وقامت اللجنة بإستجواب عدد كبير من قيادات الأجهزة الأمنية في غزة بل ووصل الأمر إلى إستجواب الرئيس عباس نفسه، وهذا أمر جيد. ولعل أول تداعيات هذا التحقيق هو الإطاحة بمحمد دحلان شخصياً، وتحميله المسئولية عما حدث، بل وتوجيه اللوم لمن قام بتعيينه - الرئيس عباس طبعا - وكل هذا جيد.

ولكن الإطاحة بمحمد دحلان ومحاكمة ٦٠ من القيادات لا يعني نهاية التربة والمناخ الذي أفرز الدحلانية، فالمسألة تحتاج إلى إعادة نظر في آلية القرار داخل فتح وكذا في الطرح السياسي والاجتماعي والاقتصادي لحركة فتح في ذلك، وأسلوب إدارة العلاقة مع المجتمع الفلسطيني في الداخل.. وإلا فإن الدحلانية ستعود من جديد بأسماء جديدة ويحدث في الضفة ما حدث في غزة، خصوصا أن التقرير تجاهل الأسباب الموضوعية التي أدت إلى أحداث غزة وتحدث عن إختراقات حمساوية للأجهزة الأمنية، وهذا نوع من تكريس الخطأ للأسف الشديد!!.

* * * * *

openkandil.com

الفهـــرس

المغالطات الأمريكية الكبرى ٣
استنساخ العقل الإسلامي على الطريقة الأمريكية..... ١٢
اغتيال فرانسو الحاج هل هو اغتيال للتوافق اللبناني..... ١٧
الانسحاب الأمريكي من العراق حقيقة موضوعية ٢٠
التحرش الإسرائيلى بسوريا أكثر من عصفور بحجر واحد..... ٢٣
الحسابات السورية الخاطئة في أنابوليس ٢٦
العالم قلبه على باكستان وباكستان قلبها على الحجر..... ٢٩
القاعدة.. والخطأ التاريخي..... ٣٢
الهدف الحقيقي من مؤتمر (أنابوليس) ٣٤
أمريكا وإيران سيناريوهات التحالف والصدام..... ٣٨
أوروبا الجديدة..... ٤٢
برويز مشرف.. والرهان الخاسر ٤٥
برويز مشرف يفرض الطوارئ في باكستان.. يحل المشكلة أم يعقدها؟..... ٤٨
موت مصريين في محاولة للهجرة غير الشرعية ٥١
.. تداعيات سيطرة حماس على غزة!..... ٥٥
تقرير الاستخبارات الأمريكية حول الملف النووي الإيراني.. التوقيت والنتائج... ٦٠
تقييم أمريكى للوضع العراقى ٦٤
حزب العدالة والتنمية يفوز في الانتخابات التركية..... ٦٧
دارفور.. والضمير الفرنسي الغائب ٧١
دلالات قبول إسرائيل بحل الدولتين..... ٧٣
رسالة إلى الإخوان المسلمين..... ٧٦
ضربة أمريكية رمزية لإيران!..... ٨٠
فشل خطة بوش فى العراق هل هو النهاية ٨٣
مؤتمر أنابوليس.. علاقات عامة أم مؤامرة؟!..... ٨٦
مؤتمر أنابوليس الخداع التكتيكي والفشل الاستراتيجي..... ٩٠
ما بعد الانسحاب الأمريكي من العراق؟..... ٩٦
تصريحات عصام العريان واقعية أم انتكاس ١٠٠
مطالب قبطية من فوق منصة البيت الأبيض!!..... ١٠٣
معركة نهر البارد.. وحكومة تمزق أنسجة نفسها ١٠٦
هل تعود فتح إلى الطريق الصحيح بعد تقرير لجنة التحقيق؟ ١٠٨
الفهـرس..... ١١٠

obeikandl.com